

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة العدد ١٤١ ربيع الأول ١٤٣٦ هـ

الخوارج والشيعة نتاج اليهودي ابن سبأ

المحتويات

فاتحة القول

فرق ومذاهب

سطور من الذاكرة

دراســـــات

كتاب الشهر

قالوا

جولة الصحافة







رسالة دورية تصدر بداية كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٤١)
ربيع الأول - ١٤٣٦ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

الخوارج والشيعة نتاج اليهودي ابن سبأ

في العقود الماضية عانت الأمة الإسلامية من اغترار كثير من المسلمين بشعارات الشيعة الدينية من حب آل البيت والوحدة الإسلامية، أو الشعارات السياسية كمقاومة اليهود ومعاداة أمريكا (الشيطان الأكبر)، ولكن بجهود العلماء والشباب السلفي تم كشف وتعرية باطل التشيع عقدياً وسياسياً، وإن كانت لا تزال بعض الفصائل الإسلامية تقيم علاقات سياسية مع إيران الشيعية ووكلائها برغم كل خيانات إيران والشيعة لهذه الفصائل نفسها!!

وأيضا نعاني اليوم من أن كثيرا من الشباب المسلم، بل والسلفي نفسه، قد خدع بشعارات الخوارج الجدد (داعش وأخواتها) مثل شعارات الخلافة والجهاد والولاء والبراء، وهذا باب شر كبير على الأمة الإسلامية، ومن باب النصيحة لهم نذكّرهم ببعض الحقائق حول الخوارج والشيعة والقواسم المشتركة بينهم، علّهم ينتبهوا مبكرين قبل أن يتورطوا في جرائم وكوارث بحق أنفسهم وأمتهم.

فالأمة الإسلامية اليوم تمر بمرحلة يقظة دينية مباركة، ولذلك يسعى أعداؤها إلى محاربتها باسم الدين، إما بدعم التطرف والغلو، حتى يكون ذلك مبرراً للهجوم عليها وحربها باسم محاربة التطرف، وإما بنشر المذاهب المنحلة والفتاوى الشاذة، حتى لا تقوم للإسلام قائمة، فاحذر يا رعاك الله من أن تكون ضحية لأعداء الإسلام.

عودة إلى قضيتنا التي قد يستغرب كثير من الناس بل والخاصة من وجود علاقات وتقاطعات بين الخوارج والشيعة، وذلك بسبب الفروق الفكرية الواسعة بينهما، والصراعات والخلافات بين الطرفين، لكن ليس ذلك كل الحقيقة!

فالحقيقة أن الخوارج والشيعة هما في الأصل فصيل واحد رعاه ونمّاه ابن سبأ اليهودي، والذي كان من يهود صنعاء فتظاهر بالإسلام وتنقل بين البلاد الإسلامية، الحجاز والبصرة والكوفة والشام ومصر، ينشر فيها مقالات يهودية بصيغة إسلامية كرجعة الأنبياء والأوصياء، وأن عليّاً رضي الله عنه هو وصي محمد ﷺ، كما أنه كان يحرض على الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأنه يجب القيام عليه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وبقي على هذا حتى ألّب أهل مصر والعراق على عثمان رضي الله عنه، حتى سافروا إليه في المدينة المنورة وجادلوه بالباطل بخشونة ورعونة، ثم حاصروه، وقتلوه مظلوماً رحمه الله فلقي الله شهيداً وهو صائم يقرأ القرآن.

ثم انضم هؤلاء الفجرة الخوارج لجيش علي رضي الله عنه، بل كانوا أغلب جيشه، ولكن بقي ابن سبأ هو الإمام الحقيقي لهم وليس علياً رضي الله عنه، ولذلك حين تمكن علي رضي الله عنه من الوصول لاتفاق وصلح مع جيش أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم، لم يعجبهم هذا الصلح ولم يرُق لهم اجتماع كلمة المسلمين، فقاموا في سواد الليل بإشعال القتال بين الجيشين، ووقعت معركة الجمل التي قتل فيها عشرة آلاف مسلم وكل فريق يظن أن خصمه غدر به، والحقيقة أن قتلة عثمان اتباع ابن سبأ هم من أوقع بين الجيشين كما تبين فيما بعد.

ولم يقتصر شرهم على قتل الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه، ولا على إشعال القتال بين جيش علي، وعائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم أجمعين، بل تواصل شرهم وعنادهم النابع من جهلهم وسوء قيادتهم السبئية، إذ أرغموا عليّاً على قبول التحكيم مع جيش معاوية، رغم أن علياً كان رافضاً للتحكيم لإدراكه أنه خدعة حربية يتجنب بها جيش معاوية الهزيمة، فلما أصروا على عنادهم والتمرد على القيادة (عثمان سابقاً وعلي الآن) وافق علي على التحكيم، ولما وقعت الهدنة

ولاحت بوادر صلح بين الطرفين، عادوا وأعلنوا العصيان وأن الهدنة حرام، وأن كل من قبل بالهدنة والتحكيم والصلح كافر! فكفّروا علياً! ثم انشقوا عنه وأعلنوا لهم أميرا قاتلوا معه علياً رضي الله عنه، ثم تآمروا عليه واغتالوه رحمه الله شهيدا!

وهكذا آل حال هؤلاء النفر من اتباع ابن سبأ فأصبحوا يُعرفون باسم الخوارج والمحكّمة والحرورية، والقسم الثاني من اتباع ابن سبأ أكملوا معه مشوار الغلو في علي رضي الله عنه، فأنكروا وفاته، ثم غلو فيه بالباطل بما لا يرضاه علي وولداه الحسن والحسين رضي الله عنهم، وأصبحوا يعرفون بالسبئية ثم الشيعة ثم الرافضة والإمامية.

هذه هي حقيقة نشأة الخوارج والشيعة، فهم من منبع كدر واحد، وإن تشعبت بهم السبل ووقع بينهم الخلاف والقتال، فهم يجتمعون على مخالفة العلماء والسابقين، وعصيان القيادة، وتفتيت الصف الإسلامي، واتباع الغلو والباطل في الدين، والمبالغة في قتال المسلمين دون الكفار، والاعتداء على النساء والأطفال.

ولا يزال الخوارج والشيعة لليوم مجتمعين على هذه الأصول المنحرفة، وعلى العداء للأمة، ومحاربة وحدتها، والإسراف في سفك دمائها، وها هي الأخبار لا تتوقف من سنوات كل لحظة من أرض العراق وسوريا واليمن وغيرها، بقتل الأطفال والاعتداء على النساء واغتيال القادة والعلماء والمجاهدين، من قبل الميلشيات الشيعية والتنظيمات المنحرفة الخارجية.

واليوم ومع تصاعد جرائم داعش من جهة، وانخداع كثير من الشباب الطيب بهم، يلزم استذكار هذه البداية الخبيثة والنشأة اليهودية الحاقدة للخوارج والشيعة، ويجب أن يستذكر شبابنا الطيب أن الخوارج الأولين كانوا من حفظة القرآن الكريم، ويُلقبون بالقراء، ولكن هذا لم يمنع من وقوعهم في الضلال، وقد حذرنا النبي ﷺ بشكل واضح وصريح من أن هؤلاء الخوارج أكثر عبادة وصلاة وصوما وقراءة للقرآن من الصحابة الكرام، فقال ﷺ: «يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، ويقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في النصل فلا يرى شيئا، وينظر في القدح فلا يرى شيئا، وينظر في الريش فلا يرى شيئا، ويتمارى في الفوق» رواه مالك في موطئه.

مع استذكار هذه النشأة اليهودية للخوارج والشيعة، واستذكار خطأ وخطورة الانخداع بالمظاهر من العبادة والطاعة وحفظ القرآن عن تفحص المنهج والعقيدة والنشأة، يجب تدبر وتأمل علاقات التقاطع والتعاون في الوقت الحاضر بين الخوارج والشيعة، حتى تكتمل الصورة وتتضح الحقيقة للشباب الطيب والساذج.

ونكتفي بمثال من التاريخ القريب ومثال من الحاضر، فعندما قامت جماعة جهيمان باحتلال الحرم المكي وقتل الآمنين فيه بتأويلات باطلة ومنامات شيطانية، لم يؤيد هؤلاء الخوارج إلا الشيعة والشيوعيين!!

وقد ألف الشيعة في نصرة خروج جهيمان وانتهاكه للحرم المكي كتابا بعنوان «دماء في الكعبة» أصدرته منظمة الجزيرة العربية، وأما حزب العمل الاشتراكي العربي وهو الفرع السعودي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة جورج حبش، فقد نزل شبابها للشارع للمساهمة مع الشيعة في الثورة إذا نجحت مجموعة جهيمان في قتل الملك والأمراء، وهذا يدلك على أن جهيمان تم اختراقه والتغرير به من الشيعة والشيوعيين، وطبعاً كانت الثورة ستؤول لهؤلاء الشيعة والشيوعيين، وليس لجهيمان وإخوانه.

ومن شاء التوسع فليعُد لكتاب «التنظيمات اليسارية في الجزيرة والخليج العربي»، لعبد النبي العكري، ومجلة «الهدف» ومجلة «طريق الثورة» في تلك الفترة، ولكن يكفي أن نعلم أن رسائل جهيمان طبعت في مطابع الطليعة اليسارية في الكويت، وبثمن بخس، وهربت للسعودية، حتى نفهم إلى أي مدى هي غفلة وغباء الخوارج، وكم هو خبث ودهاء الشيعة والشيوعيين في استخدامهم لتنفيذ مخططاتهم!!

أما في الوقت الحاضر، فما عليك إلا الاستماع للناطق باسم داعش العدناني في خطابه المعنون «عذراً أمير القاعدة»، وهو يعترف أنهم في دولة العراق الإسلامية امتنعوا عن ضرب الإيرانيين بناء على توصيات قيادة تنظيم القاعدة، ثم تربط هذا بنتائج الدراسات والإحصاءات عن كمية المعارك بين داعش والنظام السوري، فإذا بها بحسب بيانات مركز «جينز» (البريطاني- الأميركي) – الخاص بمتابعة الإرهاب والتمرد - عن عمليات سنة ٢٠١٤، فقط ٦ ٪ من عمليات النظام السوري ضد داعش، و ١٣ ٪ فقط من عمليات داعش ضد نظام بشار؛ وباقي جهد الطرفين لضرب الثورة السورية!!

في الختام، إن الخوارج والرافضة هم أعداء للإسلام ويجب الانتباه لعداوتهم للمسلمين وعدم الانخداع بشعاراتهم البراقة.



الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية بالسودان... ضلال عقدي وعلاقات مشبوهة

محمد خليفة صديق(*) – خاص بالراصد

الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية طريقة صوفية سودانية، وتسمى بالطريقة البرهانية نسبة لمؤسسها محمد عثمان عبده البرهاني، وتُسمّى أيضا البرهامية، في خلاف بين الميم والنون؛ ولم يحسم هذا الأمر بين أتباع الطريقة، وإن كانت البرهانية هي الاسم الأوضح دلالة عليهم لنسبتها إلى شيخهم، ويطلق على البرهانية لفظ طريقة، ولكن الأقرب للصواب أن يطلق عليها اسم فرقة لأنها تختلف في عقائدها كثيرا عما عليه أهل الإسلام، وخاصة في غلوهم في شيخ طريقتهم محمد عثمان عبده البرهاني.

وكعادة الفرق الباطنية لم تكن كتابات الطريقة تظهر للجمهور بل كانت لدى الخواص من الأتباع، ولكنها عندما أعلنت للناس اجتمعت رئاسة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٤م لتصدر حكما في الطريقة ومعتنقيها ومؤسسها وكتابيه «تبرئة الذمة» و«بطائن الأسرار» اللذين خرجا على الناس ليعلنا وليشرحا فيهما أصول تلك الطريقة، حيث حكم مجمع البحوث بالأزهر بحظر ومنع تداول الكتابين وبكفر مؤلفهما، وكفر وردة كل من انتمى إلى الطريقة البرهانية عن قناعة واختيار، ثم أصدرت السلطات المصرية وقتئذ حكماً بحظر الطريقة البرهانية في مصر وتجريم من ينتسب إليها، وقد نشرت هذه الفتوى مجلةُ اللواء الإسلامي في عدديها الصادرين بتاريخ ٢٠ و٢٧ محرم ١٤٠٩هـ.

في عام ١٣٩٨هـ - ١٩٧٩م أصدرت وزارة الداخلية السودانية قراراً بالقبض على أتباع هذه الطريقة وحرق كتبها، فانقطع نشاط الطريقة في تلك الفترة ولم يتح لها المجال لنشر فكرها المنحرف، وبعد عام ١٩٨٥م وبعد زوال حكم الرئيس الأسبق جعفر النميري رحمه الله، رجعت الطريقة للعمل بالبلاد مرة أخرى.

التأسيس والنشأة والمؤسس:

يقول الموقع الرسمي للطريقة إن طريقتهم هي

(*) كاتب سوداني.

طريقة برهان الدين إبراهيم القرشي الدسوقي[1]، وفيها أيضا ميراث خاله أبي الحسن الشاذلي[2]، ولذلك فهي الطريقة الممزوجة (الدسوقية الشاذلية)، وقد ظلت وديعة بأحشاء الزمان حتى أذن الله لها أن تحيا على يد محمد عثمان عبده؛ البرهاني طريقةً والمالكي مذهباً والسوداني مولدا، والذي ينتهي نسبه إلى الرسول ﷺ حسب زعمهم.

وفي التسلسل الهرمي لنظام القيادة خلف الشيخ الكبير نجله ووريثه ابنه إبراهيم المولود في العام ١٩٣٨م، ثم محمد إبراهيم من بعده، ومن الملاحظات أن غالبية أتباع الطريقة من جيل الشباب من الجنسين، مع تفوق عدد النساء على الرجال.

تشير بعض المصادر إلى أن محمد عثمان عبده البرهاني ولد عام ١٩٠٢م، وتلقى علوم الفقه والدين بمدينة وادي حلفا بأقصى شمال السودان، وبدأ حياته كعامل «بوفيه» في قطارات السكة الحديد بين وادي حلفا والشلال، ثم استطاع أن يمتلك مخبزا في حلفا، وجاء إلى الخرطوم سنة ١٩٣٠ واستطاع أن يجذب إليه كثيرا من الأتباع، وهو ذكي حلو الحديث، يسمح لأتباعه بشرب الدخان، وأما هو فيستعمل السعوط «النشوق». وعمل على نشر هذه الطريقة انطلاقا من السودان، ومنه انتشرت في عدد من دول العالم وعلى رأسها مصر، وانتشرت دعوته بين الشباب في مصر، خاصة بعد الفراغ الروحي الذي أعقب نكسة ١٩٦٧.

ولمؤسس الطريقة عدة مؤلفات يقول عنها موقع الطريقة: «أن كتابيه: انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان، وكتاب تبرئة الذمة في نصح الأمة، استمدهما البرهاني من كتب الصالحين وجعلهما نصحا لأمة المصطفى وتحذيرا من المزالق التي يقع فيها بعض الناس بسبب عدم المعرفة والإرشاد، حيث ضعفوا الأحاديث النبوية الشريفة على حسب هواهم، وفسروا الآيات القرآنية الكريمة وفقا لأهوائهم الشخصية وانتقصوا قدر الرسول وآل بيته الطاهرين، ولم يعترفوا بعالِم ولا ولي ولا سلف ولا خلف إلا من يوافق هواهم».

وللبرهاني عدد من المزاعم الغريبة مثل قوله إن جدته كانت تعرف منطق الطير، ومما يدل على ذلك أنها كانت تجلس ذات يوم لتدرّس الفقه للرجال، فمرّ عليها غراب، وأخذ يصيح، فقالت لهم: قوموا من مجلسكم، فقالوا لها: لماذا؟ قالت إن هذا الغراب يقول: إن فلانا يسرق القش الخاص بكِ.

وجود الطريقة بالسودان:

يقع المقر الرئيس للطريقة البرهانية الشاذلية الدسوقية بالخرطوم، شمال السوق الشعبي وشرق ميدان سباق الخيل، ويحوي المقر العديد من المواقع التابعة للطريقة البرهانية، فمن الناحية الغربية للمبنى يقع المسجد الكبير للطريقة، وهو مكون من ثلاثة طوابق، وشماله دار الطريقة وفيها قبر منشئ الطريقة محمد عثمان عبده البرهاني، وعلى حائط القبر صور مكبرة للبرهاني ونجله ووريثه الشيخ إبراهيم، والقبر يقع داخل مبنى قبة خضراء فيها صندوق للتبرك والنذور مع وجود رمال حول السور الخارجي للقبر يمشي فيها المريدون حفاة من غير أحذية.

وفي جنوب القبر تم تشييد فندق فخم مكون من ٤ طوابق مبنية على الطراز الحديث لاستقبال واستضافة ضيوف الطريقة من خارج السودان،

---

(١) مؤسس الطريقة الدسوقية (٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م - ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م)، لقب نفسه بالدسوقي، نسبة إلى مدينة دسوق بشمال مصر، التي نشأ فيها وعاش بها حتى وفاته، أما أتباعه فقد لقبوه بالعديد من الألقاب، أشهرها برهان الدين وأبو العينين. كانت له علاقة بالصوفية منذ صغره، وكان على صلة بأحمد البدوي الذي كان معاصراً له. وكان الدسوقي من القائلين بالحقيقة المحمدية ووحدة الشهود.

وكان الدسوقي على صلة وطيدة بأبي الحسن الشاذلي ويقال إنه تتلمذ عليه، وقد قال الدسوقي: أنا فككت طلاسم سورة الأنعام التي لم يقدر على فكها الشاذلي خالي، ويقصد الدسوقي بأن الشاذلي خاله في الطريقة وليس بالنسب. لذلك يعتبر البعض أن هناك تداخلاً بين الطريقة الشاذلية والطريقة الدسوقية.

(٢) هو تقي الدين أبو الحسن علي بن عبدالله، ولد سنة ٥٩٣هـ بقرية شاذلة قرب تونس، وتوفي سنة ٦٥٦هـ، وهو صاحب الطريقة الشاذلية بشارتها الصفراء التى ترمز عند المتصوفة إلى علوم الأسماء الإلهية، اشتغل بعلوم الشريعة، ثم انتهج التصوف، ثم قدم الإسكندرية، وظهرت طريقته الشاذلية هناك. مات ودفن بحميثرا بصعيد مصر بالقرب من (أسوان).

وللطريقة علم خاص بها فيه ثلاثة ألوان هي الأخضر والأصفر والأبيض بشكل دائري.

ويلاحظ أن احتفالات الطريقة البرهانية بذكرى شيخها تفوق اهتمامها بالمولد النبوي الشريف خلافاً لعدد من الطرق الصوفية الأخرى، حيث تحتشد ساحة الطريقة بأتباعها الوافدين من الدول العربية (مصر – ليبيا – السعودية – الإمارات – الكويت – الصومال – العراق – الأردن وباكستان) بجانب تدفق القادمين من عضوية الطريقة بالدول الأوربية مثل (هولندا – فرنسا وألمانيا) والأخيرة قد تبدو غامضة وغير مفهومة للكثيرين، فلا يعرف حتى الآن سر علاقة الطريقة البرهانية بجمهورية ألمانيا الاتحادية.

ويظهر مريدو الطريقة بثياب بيضاء، لكن الأكثرية ترتدي الزي الأخضر مع ربطه من الوسط بحزام فاخر مصنوع من الجلد، بينما يحبّذ الأجانب خاصة من الدول الغربية لبس الجبّة المرقعة، وفي حلقات الذكر والاحتفالات السنوية يوجد عادة أتباع للطريقة من جنسيات مختلفة لكن الوجود المصري والألماني والهولندي هو الأكبر حجما.

والمقر الرئيس للطريقة بالعالَم يقع في العاصمة السودانية الخرطوم، ولها فروع بعدد من ضواحي العاصمة مثل: الخرطوم بحري، جبل الأولياء، جبرة، ومدن السودان الأخرى مثل: الأبيض، كسلا، الدامر، عطبرة، القضارف، بورسودان، وادي حلفا، ناوا، دنقلا، القولد، شندي، سنجة، سنار، الرصيرص، الدمازين، نيالا، الفاشر، كوستي، كنانة، مدني، الحصاحيصا، الرهد، أبو جبيهة، الدلنج وغيرها.

وللطريقة موقع نشط على الإنترنت بعدة لغات منها الانجليزية والفرنسية والألمانية، كما أن صحيفة ناطقة باسمها هي صحيفة رايات العز، وهي صحيفة صوفية بدأ إصدارها في فبراير ٢٠٠٢، وصدر منها حتى الآن أكثر من ٦٠ عددا.

معتقدات الطريقة ونقد علمي لها:

بعرض بعض ما نُشِر في كتب هذه الطريقة، ومما ورد عن شيخها الدسوقي وتلميذه محمد عثمان، يلاحظ أنها تناقض صريح القرآن والسنة، وفيها اختلالات عقدية كبيرة، فمثلاً يقول الدسوقي، في ديوان ابتسام المدامع:

وكل نعيم إنني منعم به
هو لي ملك ومن ثم راضع
وكل هدى في العالمين فإنه
هداي وما لي في الوجود منازع
أصور مهما شئت من عدم كما
أقدر مهما شئت فهو مطاوع
وأفني إذا شئت الأنام بلمعة
وأحيي بلفظي ما حوته البلائع[1]
وفي البحر لو نادى باسمي حوتُه
أجبت وإني للمنادين سامع

يلاحِظ القارىء أن ما ادّعاه شيخ البرهانية الدسوقي هو مما اختص الله تعالى به نفسه، فالمالك هو الله والمصوّر من العدم هو الله تعالى، ولا يستطيع الدسوقي أن يفني شيئاً ولا يملك ذلك فضلاً عن أن يفني الأنام جميعاً، فما ادّعاه الدسوقي في ديوانه هو أعظم الظلم وأفسد الاعتقاد إذ ادّعى كذباً وزوراً ما اختص الله به نفسه.

إلى أن يقول:

وإن طباق العرش تحت قوائمي
ورجلي على الكرسي ثم ترفع
وبيتي سقف العرش هناك فليكن
مكاني ومن فيضي خلقت المواضع
وأجري على اللوح المقادير ما أشا
وبالقلم الأعلى فكفي بارع
وكل معاش الخليقة تجريه راحتي
لراحتهم جوداً ولست بصانع
وأمحو لما قد كان في اللوح ثابتاً
وأثبت إذا وقعت هناك وقائع

وهذا من الجرأة العجيبة، والضلال المبين، وعواره واضح لا يحتاج لمناقشة.

---

(١) البلائع: هي القبور.

يقول إبراهيم الدسوقي في ديوان: ابتسام المدامع «ص ٢٧٩»: «مريدي لك البشرى إذا قمت بالوفا ـ إذا كنت في هم أغثك بهمتي»، وهذه دعوى كاذبة للدسوقي تناقض قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

ومن يطلع على ما طبعته هذه الطريقة في منشوراتها يجد أن الدسوقي ادّعى أموراً كثيرة هي من خواص الربوبية ومن ذلك في نفس الديوان «ص٣١١ ـ ٣١٢» قوله:

لذ بالمقام وناده يا سيدي

يا منقذ المظلوم والحيران

يا صاحب السر المقدس نظرة

أنجو بها فالدهر قد أضناني

كم من كروب فرجت من سركم

وجبرتم كسر الفقير العاني

ولم يكن غريباً بعد ذلك أن يقول شيخ الطريقة البرهانية محمد عثمان في كتاب تبرئة الذمة «ص ٢٦٣»: «وكل ذلك دليل بيّن على استبدال صفات العبد بصفات الرب»، والمقصود من كل ذلك إضعاف المريد وإحكام القبض والسيطرة عليه، والوصول به إلى غاية الاستسلام وصرف ما يجب صرفه لله لهؤلاء الشيوخ، وبدعائهم فيما لا يملكه إلا الله.

ويقول محمد عثمان في ديوان شراب الوصل الذي نشرته الطريقة «ص ٣»:

أجود على أم لترحم طفلها

فرحمة من في الكون من بعض رحمتي

ويقول: وأنفخ في روع المريد فينتقي

جواهر علم الأولين بنفختي

ويقول: تخط يميني محو شقوة تابعي

ومرتعي الكرسي واللوح خلوتي

ويقول كذلك في ديوان شراب الوصل «ص ٩»:

وحدي حد الله والحد مطلع

لدي وما ضلت بذاك سفينتي

فجبريل ميكال عزره

جنودي في التصريف هم تحت إمرتي

وهذا من الادعاء السمج أنه (أي البرهاني) يتصرف في الملائكة وهم جنوده ومنهم جبريل وميكال وملك الموت. وفي الديوان نفسه «ص ٦٦» يقول: والسماء عندنا أبوابها لو فتحناها فماء منهمر، وقال «ص ٦٢»:

تلكم النار من هداي أنارت

جانب الطور فاهتداها الكليم.

ولما كان يجتمع أتباع هذه الطريقة على أوراد موحّدة كان من المناسب إلقاء الضوء على أذكارهم وأورادهم، ولك أن تعجب أن محمد عثمان عبده شرع لأتباع طريقته أوراداً كان صريحاً لما قال إنه لم يجدها في كتاب وإنما تعلّمها من الأقطاب في الرؤيا!! وبعضها وجده مدفوناً في «أزيار» وصناديق خشبية!! ولذلك لا تستغرب أن يستبدل البرهانيون الأذكار والأوراد التي ثبتت عن النبي عليه الصلاة والسلام من التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير وغيرها إلى قولهم في ذكرهم وترديدهم: «بها بها بهيا بهيا بهيات بهيات بهياتٍ..» و «وكرب كدٍ كدٍ كردد كردد كرده كرده ده ده الله».

شرع البرهاني لأتباع طريقته أوراداً خاصة وجاهر بالافتخار على بقية الطرق بأن أوراده التي رسمها لمريديه لا يشاركه فيها أهل طريقة أخرى، يقول في كتاب «قبس من نور» ص ١٠: «وهذه الكنوز اختصنا الله سبحانه بها دون غيرنا من أهل الطرق والمسلمين جميعاً من سيدنا آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها»، وهو يشترط ألا تؤخذ الأوراد إلا بإذن!! وهذا جانب مهم في ربط المريد بشيخه!! فيقول في نفس الكتاب ص ٩٣: «فطريقتنا والحمد لله فاقت كل الطرق، فلا إذن مثل إذننا ولا أوراد مثل أورادنا».

ويهدّد شيخ البرهانية من قراءة بعض أورادهم دون إذن بذلك!! فادّعى أن قراءة الحزب السيفي يؤثر سلباً في من قرأه دون إذن، ويخبر عن بعض من

قـرأوه دون إذن بقولـه في - كـتـاب قـبس مـن نـور- ص ٧٦: «قـالوا إنـه يلـهب أجـسامنا مـن شـدته» ويبـيّن لهـم أن نفعها إنمـا يكـون بأخـذها بـإذن، فقـد قال في نفـس الكـتـاب ص ٦١: «إن الـسـر إنمـا يكـمـن في الإذن بالأوراد».

ويقـول في ذات الكـتـاب ص ٧: «وأمـا الـذي أقـرأه وتقرأونـه أنـتم الآن فهـو خـاص بالأجـداد وقـد وجدتـه في بيتـنـا». ويحـكـي قصـصـاً في تفاصـيل رؤى منامية أخـذوا بها عـن شـيخهم إبـراهيم الدسـوقي الأوراد والأحـزاب، وهـكـذا يـشرّع البرهـانيون لأتبـاعهم أذكـاراً وأوراداً مـن عنـد أنفسهم لم تـرد في الكـتـاب ولا في الـسنة ويرتّبـون عليها فـضائل قـد ألّفوهـا ومـا أنـزل الله بها مـن سـلطان، وهـذا مخـالف لقـول الله تعـالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾.

وفي ذات الكتاب «ص ١١٠- ١١١»

بسر طهور بدعق حاء محببـــــه
مفيض العطايا صورة أنت عدتي

إلى قوله:

ويا سقفاطيس صاحب الحمد والثنا
عظيم سقاطيم وكـــــا في البرية

أحون وقاف مع أدم أدملنا
رضاك وهبنا منك فيض الدراية

فمن هو «سقفاطيس» و«سقاطيم» و«أحون».. ؟!

ومـــن الأوراد الـــتي شـــرّعها شـــيوخ الطريقـــة البرهانيـة: الحـزب الـسيفي، وصـلاة ابـن بـشيش، والحـزب المغـني، وحـزب البحـر، وحـزب النـصر، وغيرهـا، وللطريقـة البرهانيـة تـشريع في إعطـاء هـذه الأوراد للمريـــدين والتـــدرج بهـــا!!! وأحيانـــاً يـــضيفون أسمـاء أعجميـة لـلأوراد مثـل قـولهم: « يـا دهيائيـل ويـا مهيائيـل ويـا عـصفهيائيل ويـا صـفيهائيل توكـلوا بعمـل كــــذا وكــــذا»!! وممـــا أوردوه في ورد التحـــصين الشريف!!

وفي كـتـاب مجمــوع أوراد الطريقــة البرهانيــة ص ١٢: «مـن أراد لـي سـوءاً خذلـه الله همـساً همـساً لمـساً لمـساً لموسـاً لموسـاً مأمونـاً مأمونـاً أنـا الأسـد سـهمي»، وفي الحـــزب الكـــبير في نفـــس الكتـــاب ص ٢١: «اللـهم آمنـا مـن كـل خـوف وهـم وغـم وكـرب كـد كد كردد كردد كرده كرده ده ده ده ده..».

وفي نفـس الحـزب في ذات الكتـاب ص ٢٣ : «بهـا بهـا بهيـا بهيـا بهيـا بهيـات بهيـات بهيـات»، وغـير ذلــك مــن إيــرادهم لرمــوز لا يعلــم المريــد معانيهــا، يرددهـا مطيعـاً لـشيخ طريقتـه متبعـاً لـه في ترديـد هـذه الطلاسـم والرمـوز الـتي تبعـدهم عـن الله ولا تقـربهم إليـه والـتي هـي مـن الافـتراء علـى الله لأن حـق التشريع خاص بالله تعالى لا يشاركه فيه أحد من خلقه.

وفي كـتـاب «قـبس مـن نـور» ص ٥٦ للبرهـاني، يـدعي الـتصرف في ملـك الله وقـبض الارواح وإعادتهـا للاجـساد، يقـول «قمـت بتعلـيم أحـد المريـدين في الطريقـة الأوراد والإرشـاد وبعثـت بـه إلى بلـدة مـا يرشـد وكـان في هـذه البلـدة أبنـاء الطريقـة الختمية فلـم يعجـب ذلـك الـسيد علـي الميرغـني فقـبض روحـه فجـاءني أحـد الإخـوان وقـال لـي: أدركنـا يـا عـم الـشيخ فـإن الرجـل قـبض روح أخينـا فثـرت ثـورة شـديدة وطـرت أنـا وعبـده سـبيكة بروحينـا فوجدتـه ميتـاً ومكفنـاً ينتظـر الـدفن ووجـدت الـسيد علـي واقفـاً وممـسكاً بـروح المرشـد فقلـت لـه: لمـاذا قبـضت روح المرشد؟

فقـال: أنـا حـر، وهـذا الملـك ملكـي أفعـل فيـه مـا أشاء.

فقلت له؟ لستَ حراً وأنا شريك لك في الملك.

قال: لست شريكاً لي.

قلـت: أيفعـل كـل واحـد منـا مـا يريـد فعلـه؟ قـال: نعم.

قلـت لـه: أتعـي مـا تقولـه جيـداً؟ قـال نعـم أعيـه جيـداً. فناديـت سـيدي إبـراهيم ورفعـت يـدي لأضـربه وأسلب ما عنده من ولاية.

وفي هـذه اللحظـة حـضر مولانـا رسـول الله ﷺ فارتجفنـا ارتجافـاً شـديداً ومـا كـان مـن الـنبي ﷺ إلا أن أعـاد الـروح للمريـد فأخـذ يـسير هنـا وهنـاك ثـم حـدثت مـشكلة وهـي أن الـروح تـرتبط بـالرزق وكـان الـسيد علـي قـد شـطب رزقـه قبـل قـبض روحـه وهـو

الآن فقير يعيش على أرزاق غيره وكثيراً ما يأتي إلي فأقول له: اصبر الرجل قد شطب رزقك».

ويقول محمد عثمان عبده البرهاني في كتاب «تبرئة الذمة» ص ٢٨١- ٢٨٣: «ويظن البعض أن سيدنا جبريل عليه السلام كان هو الواسطة بين الله تبارك وتعالى وبين سيدنا محمد ﷺ، ومن ظن هذا فقد دل على عدم معرفته، إذ لو صح أن سيدنا جبريلاً عليه السلام كان الواسطة بين الله تعالى ورسوله سيدنا محمد ﷺ لتعين وجود خلل في كلمة التوحيد فبدلاً عن لا إله إلا الله محمد رسول الله تكون: لا إله إلا الله محمد رسول رسول الله..

ثم سأل الرسول ﷺ جبريل عليه السلام عن المكان الذي يأتي منه بالوحي فقال «حيثما أكون في أقطار السماوات أسمع صلصلة جرس فأسرع إلى البيت المعمور فأتلقى الوحي فأحمله إلى الرسول أو النبي»، فقال له ﷺ «اذهب إلى البيت المعمور واتل نسبي الآن» فذهب سيدنا جبريل مسرعاً إلى البيت المعمور وتلا نسب النبي ﷺ قائلاً «محمد ﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب ...الخ».

فانفتح البيت المعمور ولم يسبق أن فتح له قبل ذلك فرأى جبريل عليه السلام النبي ﷺ بداخله فتعجب فعاد مسرعاً إلى الأرض، فوجد الرسول ﷺ في مكانه كما تركه مع سيدنا جابر رضي الله عنه فعاد بسرعة خارقة إلى البيت المعمور فوجده ﷺ هناك ثم عاد مسرعاً إلى الأرض فوجده ﷺ ما زال جالساً مع سيدنا جابر رضي الله عنه، فسأل جبريل سيدنا جابر رضي الله عنه قائلاً «هل ترك رسول الله ﷺ مجلسه هذا؟» فقال سيدنا جابر رضي الله عنه «كلا يا أخا العرب فإننا لم ننته بعد من الحديث الذي تركتنا فيه».

فقال جبريل للنبي ﷺ «إذا كان الأمر منك وإليك فلماذا تعبي؟» فرد عليه ﷺ قائلاً «للتشريع يا أخي جبريل».

وقد قدمت أطروحة دكتوراه في كلية أصول الدين بجامعة أم درمان الإسلامية في العام ٢٠٠٤م بعنوان: الطريقة البرهانية في السودان دراسة وصفية تحليلية للباحث الدكتور أحمد عبد الصمد محمد الأمين، وحصلت الرسالة على تقدير ممتاز، بيّنت كثيرا من ضلالات وانحرافات الطريقة.

العلاقات الخارجية للطريقة:

للطريقة وجود كبير في أوربا في كل من: السويد، النرويج، الدنمارك، ألمانيا، هولندا، لوكسمبرج، سويسرا، إيطاليا وبريطانيا، ويوجد مركز البرهانية الأوربي في ألمانيا في قصر شنيدا أو بيت شنيداHaus Schneide فى حي راقٍ فى المدينة، بالقرب من هامبورج، فى مرجلونبرجر، ومنذ ذلك الوقت أصبح هذا البيت المركز الأوربي للاحتفالات واللقاءات الدينية الخاصة بالطريقة، وتعقد في هذا المبنى أنشطة أخرى مثل الندوات والتبادل الثقافي. وللطريقة البرهانية كذلك عدة زوايا في ألمانيا في كل من: ميونخ- منستر- آس هاوزن- برلين- هامبورج- شتوتجارت.

وللطريقة البرهانية وجود في قارة آسيا، حيث توجد الطريقة حالياً في غرب ووسط آسيا، في المملكة العربية السعودية، والأردن، وسوريا، واليمن، ولبنان والإمارات العربية المتحدة في كل من أبوظبي، والعين، ودبي، وفي الكويت، يوجد مقر الطريقة بمحافظة حولي، منطقة حولي، شارع تونس، مجمع الرحاب، الدور الرابع، شقة (٤٠٣). وفي دول آسيا غير العربية توجد الطريقة في باكستان.

وللطريقة البرهانية وجود في الولايات المتحدة وكندا، ولها زوايا ومقرات تعقد فيها الدروس والعبادات والحضرة، حيث تقدم دروس تعميق مفاهيم التصوف وفهم الأشعار الصوفية الروحية حسب زعمهم، حيث توجد زاوية في نيويورك، ومقرها هناك في:

Mt Vernon, New York 10550
.South 10th Avenue 252

وهناك زاوية للطريقة البرهانية بنيوجيرسي، أما في كندا فقد بدأ انتشار الطريقة مع بداية الثمانينات، وتوجد الزاوية الرئيسية للطريقة في مدينة مونتريال، وتقام الحضرة مساء كل سبت.

ولا يوجد تبرير علمي للانتشار الكثيف للطريقة البرهانية في ألمانيا، تقول آسيا اشتاينر وهي برهانية من ألمانيا الاتحادية إنه قد دخل الطريقة البرهانية في ألمانيا حوالي مائة وخمسين امرأة، وهنّ قد دخلن إلى الإسلام عن طريق البرهانيَّة، ولم يكنَّ يعرفن أنهن دخلن الإسلام مع أن الطريقة هي الفرع والإسلام هو الأصل، وقد دخلت بعض النساء الألمانيات إلى الإسلام عبر أزواجهنَّ من المسلمين من غير أهل الطريقة، ولكن اللاتي دخلن عبر الطريقة هن أكثر التزاما وتمسكاً بتعاليم الإسلام وحرصاً على أداء الشعائر الدينية.

وترى اشتاينر أنَّ هؤلاء النسوة قد وجدن الراحة الكبرى التي يبحث عنها كل شخص أوروبي يعيش الحياة المادية البحتة في الغرب، تلك الحياة التي تخلو تماماً من الجوانب الروحية وقد وجدن الراحة الكبرى في الطريقة، وقد علّمتنا الطريقة محبة الشيخ إبراهيم وآل بيته والإخوان.

وتقول:» إننا نقيم الحضرة كلَّ يوم خميس في الزاوية وهو أهمُّ يومٍ عندنا في الأسبوع. ونحن نهتمُّ بالزاوية اهتماماً كبيراً، بل نهتمُّ بها أكثر من بيوتنا فهي الواحة التي نستريح فيها من تعب الحياة اليومية ونطرح همومنا، إنَّ الحضور للزاوية يزيدنا قرباً من الشيخ إبراهيم ومن الإخوان ويزيد محبتنا لبعضنا».

النظام السري للطريقة وعلاقتها بايران:

يذكر بعض الذين خرجوا من الطريقة البرهانية والتائبين منها أن للطريقة تنظيما داخليا سريا يقوم على أسلوب المجموعات أو الخلايا المحدودة العدد، وبالإضافة للتنظيم المحكم لأفرادها يحكمهم نظام الولاء، فأعضاء الجماعة متعاونون في تقديم الخدمات بعضهم لبعض ويقدمون المنتمي إليهم في كل نافع لهم.

وتبدو هنا الملاحظة قوية بأن هذا التنظيم المحكم والولاء المقدس يشبه تماما ما يجري عند المتشيعة في كل مكان في حال القلة، ويعزز هذا ما ورد أن الطريقة البرهانية بالذات تُعد أقرب الفرق الصوفية للتشيع وتحاول أن تقدم عدة خدمات للشيعة في السودان ومصر.

فقد نقلت صحيفة «المصريون» في عددها بتاريخ: ١٣ - ٣ - ٢٠٠٩ عن رجل يدعى مصطفى عبد رب النبي الذي يعرف نفسه بأنه منشق حديثا عن الطريقة البرهانية حيث يقول: «إن «الطريقة البرهانية» في مصر تعمل لحساب إيران، ويتم تمويلها عن طريق رجال أعمال مصريين يعملون في مجال السياحة، وهم على علاقة برجال دين شيعة في عدد من الدول العربية، ويهدف نشاطهم لنشر المذهب الشيعي في مصر، وأن تلك الطريقة تروج للفكر الشيعي حيث قامت بتوزيع ورقة مغلوطة لأسماء الرسول الكريم منذ فترة ومعها سبحة في دعوة لنشر التشيع في المجتمع المصري.

وأوضح أن تلك «الطريقة» التي يتزعمها في مصر شخص يدعى (م.ا) وهو من المنصورة ويمتلك ورشة حدادة، تروج للفكر الشيعي حيث قامت بتوزيع ورقة مغلوطة لأسماء الرسول الكريم منذ فترة ومعها سبحة في دعوة لنشر التشيع بالمجتمع المصري.

وقال عبد رب النبي إن أتباع «الطريقة» يواظبون على عقد حلقة ذكر «حضرة» بشكل منتظم شهريًا بمسجد السيد البدوي بطنطا، حيث يجتمع أتباع الطريقة المقيمون في القاهرة في كل جمعة من أول شهر بميدان المطرية وهناك أتوبيسات سياحية فاخرة تقلهم إلى طنطا.

وأضاف، أنه يتم توزيع أوراد وأذكار وتعليمات عليهم، وفي طريقهم إلى طنطا يقومون بالإنشاد الخاص بطريقة خاصة حيث يقفون في منتصف الأتوبيس ليصلّوا على النبي فقط، ولا يذكرون أهله وصحابته، ثم يقومون بالإنشاد لسيدنا «علي بن أبي طالب» رضي الله عنه ومؤسس الطريقة البرهانية محمد عبده عثمان البرهاني. كما يقومون

أيضًا بزيارة ضريح إبراهيم الدسوقي، حيث يتجمعون عند وصولهم إلى دسوق عند الكوبري لأداء صلاة الجمعة، ثم يقومون بتنظيم موكب حسب تعليمات رئيس السيارة، ولا يتم التخلف عنه إلا لأسباب مرضية، إلى أن يصل إلى مسجد سيدي إبراهيم الدسوقي في صلاة العصر، حيث يؤدون الصلاة جماعة.

وأكد أن «الطريقة البرهانية» تضم أسرًا بالكامل بمن فيهم الأطفال والشباب من الجنسين، وفي داخل المسجد يوجد أماكن للرجال وأخرى للنساء، ويقوم الرجال والنساء بوضع دبوس صدر عليه صورة البرهاني الكبير مؤسس الطريقة، وعند بدء الحضرة تقوم النساء برفع الرايات الخضراء التي تحمل اسم الطريقة البرهانية، ثم تبدأ الحضرة من العصر إلى المغرب وفي هذه الأثناء يقمن بالزغاريد أو التصفيق أثناء تأدية الرجال الحضرة التي تتنوع الإنشاد فيها ما بين اللهجتين السودانية والمصرية.

وقدم عبد رب النبي ورقة لأتباع «الطريقة البرهانية» أثناء رحلتهم وهي عبارة عن أسئلة وبها الأجوبة ومنها:

س: الفرق بين الوراثة الكلية والوارثة البعضية؟

ج: بالنسبة للوراثة فيه وراثة بعضية ووراثة كلية يعني لما النبي صلّى الله عليه وآله يقول إنه مدينة العلم وعليٌّ بابها، فهذه وراثة كلية، لأن العلم شامل الصدق والحق والحياء، فالعلم فيه الصفات الإلهية جامع لكل المعاني ولكل الوجود ولكل التعاريف ولكل الماهيات، والعلم ضد الجهل على الإطلاق، لما النبي قال «علي سيد العرب» سألته السيدة عائشة: أو لستَ سيد العرب يا رسول الله؟، قال: لا، سيد العرب علي.

وفي هذه الورقة أيضًا، وتحت عنوان «بيضة الأسد» وضعوا صفة الألوهية لسيدنا علي بأنه هزم الأحزاب وحده، ودللوا على ذلك بقصة وهمية مليئة بالشعوذة.

وكشفت بعض المصادر الصحفية المصرية عن أن الطريقة البرهانية تعمل لحساب إيران لنشر المذهب الشيعي الإثنى عشري في مصر بتمويل من رجال أعمال، بجانب تصريحات من مشيخة الطرق الصوفية وجماعة أنصار السنة المحمدية بمحاولات اختراق الشيعة للعوام من الصوفيين المصريين، وعموما يكتنف الغموض هذه الطريقة في ظروف نشأتها ونشاطها وتوسعها المريب في أوربا ودول العالم.

ومن المؤشرات على التأثير الشيعي على البرهانية، أن هذه الطريقة درجت على الاحتفال بحولية الإمام الحسين سنويا، وفي كل زوايا ومقرات الطريقة في العالم.

مراجع:

١- الموقع الرسمي للطريقة البرهانية على الإنترنت، : http://www.org.burhaniya

٢- محمد جميل غازي، مقال بعنوان: كل الطرق تؤدي إلى روما! ودفاع عن الطريقة البرهانية!!، بموقع أنصار السنة: http://www.ansaralsonna.com/web/play-1654.html

٣- محمد عبد الله السمان، مقال بعنوان: تأثيم الذمة في خداع الأمة لا تبرئة الذمة في نصح الأمة، مجلة التوحيد المصرية، المجلد الرابع، العدد ٢ لسنة ١٣٩٦هـ.

٤- عارف عوض الركابي، مقال بعنوان: الطريقة البرهانية في ميزان النقد العلمي من ثلاث حلقات، صحيفة الانتباهة السودانية، نوفمبر ٢٠١٤م.

٥- ديوان الدسوقي المسمى ابتسام المدامع، طبع الطريقة البرهانية.

٦- ضلالات البرهانية تخدير للمسلمين وبوابة للتشيع، مقال على موقع مركز التأصيل للدراسات والبحوث.

٧- موقع صحيفة رايات العز، الناطقة باسم الطريقة البرهانية، http://www.rayat-alizz.com.

الوجه الآخر
١٤- عبد الحسين شرف الدين

هيثم الكسواني(*) – خاص بـ «الراصد»

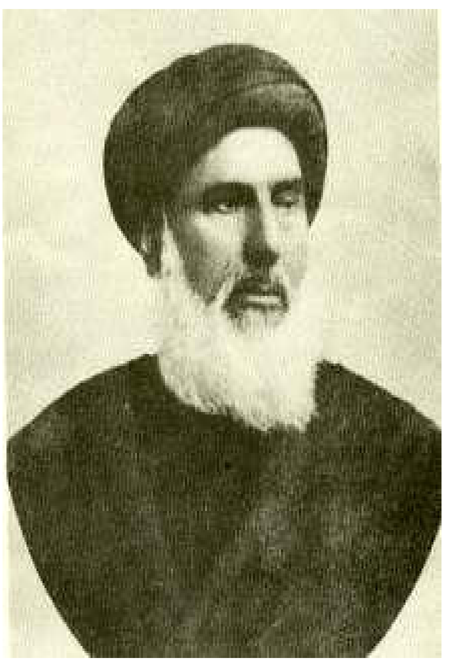
[سلسلة تتناول شخصيات شيعية معاصرة إلتبست حقيقتها على أهل السنة، فتكشف عن المجهول من معتقدها وفكرها، ونظرتها إلى السنة وأهلها]

يَصلح عبد الحسين شرف الدين أن يُضرب كمثال على التدليس والتزوير، ففي الوقت الذي كان يتفق فيه مع علماء السنة على إجراء خطوات لتحقيق الوحدة بين المسلمين، والتقريب بين السنة والشيعة كان يؤلف الكتب والمقالات للإساءة إلى الصحابة وأهل السنة، واعتبار أن الحق هو ما عليه الشيعة دون غيرهم.

وتوّج عبد الحسين تدليسه وتزويره باختلاق كتاب «المراجعات» ونسبته إلى شيخ الأزهر، كطريقة جديدة لإثبات صواب مذهب الشيعة، وبطلان ما عليه أهل السنة، وهو ما يستدعي الحديث عن كتاباته وآرائه، وتحريفاته، وتوضيح «الوجه الآخر» له.

أولاً: نشأته وحياته

ولد عبد الحسين يوسف جواد العاملي، الشهير بعبد الحسين شرف الدين، في مدينة الكاظمية بالعراق، في سنة ١٢٩٠هـ (١٨٧٣م)، حيث كان والده قد انتقل من لبنان إلى العراق للدراسة في مدن الشيعة، وهناك تزوج من ابنة هادي الصدر، أحد شيوخ الشيعة آنذاك.



وتضطرب المعلومات بعض الشيء عن نشأته، فمِن قائل إنه ظل في العراق حتى سنة ١٩٠٥م، أي أنه قضى فيها ٣٢ سنة، ثم عاد إلى لبنان، إلى قائل إنه عاد إلى لبنان، ودرس مرحلة المقدّمات عند والده في لبنان، وعندما بلغ عمره سبعة عشر عاماً سافر إلى العراق لإكمال دراسته في حوزة النجف والحوزات الأخرى المنتشرة في مدن العراق، لكن المعلومات تتفق على عودته إلى بلده لبنان بعد حصوله على مرتبة «الاجتهاد» في سنة ١٩٠٥م.

(*) كاتب أردني.

وعلى كلّ حال، درس عبد الحسين في العراق على يد عدد من علماء الشيعة، منهم: محمّد طه نجف، وإسماعيل الصدر، وفتح الله الإصفهاني المعروف بشيخ الشريعة، ومحمّد كاظم الخراساني المعروف بالآخوند، ومحمّد كاظم الطباطبائي اليزدي، وحسين النوري الطبرسي، ومحمّد صادق الإصفهاني، وحسن الكربلائي، وحسن الصدر.

وبعد عودته إلى لبنان، أخذ عبد الحسين يعمل لصالح طائفته، ويؤسس لها المشاريع، فأسس المدرسة الجعفرية في مدينة صور في العام ١٩٣٨م كما ساهم في بناء مدرسة الزهراء، وأسّس نادياً سمّاه (نادي الإمام الصادق) للاحتفالات الدينيّة والمحاضرات الثقافيّة. وأسّس (جمعيّة البرّ والإحسان) كما ساهم في تأسيس (الجمعية الخيرية الجعفرية). وأسس الكليّة الجعفرية، كما أسس الروضة الجعفرية للأطفال بقسميها البنين والبنات.

وكان عبد الحسين من أوائل العلماء الشيعة الذين التفتوا إلى المهاجرين اللبنانيين في أفريقيا فأرسلوا المبلّغين إلى هناك وكان في مقدمتهم ولداه صدر الدين و جعفر.

وترك عبد الحسين الكثير من المؤلفات، التي يدور معظمها حول الترويج للتشيع وإثبات صوابه وأحقيته بالاتباع، والطعن في الصحابة، إضافة إلى بعض الكتب «الدعائية» حول موضوع الوحدة بين المسلمين، والتقريب بين السنة والشيعة، ومن هذه المؤلفات: المراجعات، الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء، المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة، سبيل المؤمنين (ثلاثة مجلدات في الأئمة وأحوالهم ومناقبهم)، النصوص الجلية في إمامة العترة الزكية، تنزيل الآيات الباهرة في فضل العترة الطاهرة ، مختصر الكلام في مؤلفي الشيعة من صدر الإسلام، الأساليب البديعة في رجحان مآتم الشيعة، أبو هريرة، وغيرها.

توفي عبد الحسين في مدينة صور سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م)، وعلى عادة الشيعة، نُقل جثمانه إلى النجف، ليدفن بجوار ضريح علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ثانيا: دعوة التقريب

كان عبد الحسين شرف الدين أحد الذين تظاهروا بالرغبة في تحقيق الوحدة الإسلامية وإحداث تقريب بين السنة والشيعة، ولا يخفى أن الشيعة اتخذوا الوحدة والتقريب ستارا لاقتحام المجتمعات السنية، ونشر التشيع بها، مستغلّين غفلة بعض علماء السنة أو حسن نواياهم، إضافة إلى أن عبد الحسين لم يكن يسعى إلى محاربة عوامل الخلاف والابتعاد من خلال تنقيح مذهب الشيعة مما به من انحراف وبدعة ليصبح جمع الأمة على كتاب ربها عز وجل وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم ممكنا، بل كان يصدر الكتب تلو الكتب في الطعن في الصحابة، وتبني عقائد الشيعة المنحرفة، وهو ما سنتناوله بعد قليل.

وللشيخ الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله، والذي كان مراقبا لجماعة الإخوان المسلمين في سوريا، تجربة «مرّة» مع عبد الحسين حول التقريب يرويها في كتابه «السُنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي»، إذ يقول د. السباعي:

«في عام ١٩٥٣ زرتُ عبد الحسين شرف الدين في بيته بمدينة صور في جبل عامل، وكان عنده بعض علماء الشيعة، فتحدثنا عن ضرورة جمع الكلمة وإشاعة الوئام بين فريقي الشيعة وأهل السنة، وأن من أكبر العوامل في ذلك أن يزور علماء الفريقين بعضهم بعضاً، وإصدار الكتب والمؤلفات التي تدعو إلى هذا التقارب.

وكان عبد الحسين رحمه الله متحمساً لهذه الفكرة ومؤمناً بها، وتم الاتفاق على عقد مؤتمر

لعلماء السنة والشيعة لهذا الغرض، وخرجتُ من عنده وأنا فرحٌ بما حصلت عليه من نتيجة، ثم زرتُ في بيروت بعض وجوه الشيعة من سياسيين وتجار وأدباء لهذا الغرض، ولكن الظروف حالت بيني وبين العمل لتحقيق هذه الفكرة، ثم ما هي إلا فترة من الزمن حتى فوجئت بأن عبد الحسين أصدر كتاباً في أبي هريرة مليئاً بالسباب والشتائم!!

...

لقد عجبتُ من موقف عبد الحسين في كلامه وفي كتابه معاً، ذلك الموقف الذي لا يدل على رغبة صادقة في التقارب ونسيان الماضي، وأرى الآن نفس الموقف من فريق دعاة التقريب من علماء الشيعة، إذ هم بينما يقيمون لهذه الدعوة الدور، وينشئون المجلات في القاهرة، ويستكتبون فريقاً من علماء الأزهر لهذه الغاية، لم نر أثراً لهم في الدعوة لهذا التقارب بين علماء الشيعة في العراق وإيران وغيرهما، فلا يزال القوم مصرّين على ما في كتبهم من ذلك الطعن الجارح والتصوير المكذوب لِما كان بين الصحابة من خلاف، كأن المقصود من دعوة التقريب هي تقريب أهل السنة إلى مذهب الشيعة، لا تقريب المذهبين كلٍّ منهما إلى الآخر».

ويضع د. السباعي أمامنا خلاصة نظرة عبد الحسين للصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه، المتمثلة «بأن أبا هريرة رضي الله عنه كان منافقاً كافراً وأن الرسول قد أخبر عنه بأنه من أهل النار!».

ثالثا: موقفه من الصحابة

إن معرفة ما يُكنّه عبد الحسين للصحابة من كُره وحقد، واتهامهم بأسوأ الصفات ليس بالأمر الصعب، فكُتُبه طافحة بالكلام السيئ القبيح بحقهم، فعلى سبيل المثال، لم يجعل مذمةً ولا نقيصةً إلاّ وضعها في أبي هريرة رضي الله عنه، فقال فيه:

- «غامض الحسب، مغمور النسب، ..».
- وإنه نشأ «جاهلياً لا يستضيء بنور بصيرة، ولا يقدح بزناد فهم، صعلوكاً قد أخمله الدهر ويتيماً أزرى به الفقر. يخدم هذا وذاك وتلك مؤجراً نفسه بطعام بطنه حافياً عارياً. راضياً بهذا الهوان، مطمئناً إليه كل الاطمئنان..».
- «أخلص أبو هريرة لآل أبي العاص وسائر بني أمية على عهد عثمان، واتصل بمروان وتزلف إلى آل أبي معيط، فكان له بسبب ذلك شأن، ولاسيما بعد يوم الدار إذ حوصر عثمان فكان أبو هريرة معه. وبهذا نال نضارة بعد الذبول ونباهة بعد الخمول».
- «أكب بعدها بنو أمية وأولياؤهم على السماع منه. فلم يألوا جهداً في نشر حديثه؛ والاحتجاج به. وكان ينزل فيه على ما يرغبون».
- «وقد كثر وضع الحديث في تلك الدولة حسبما اقتضته دعايتها، وأوجبته سياستها في نكاية الهاشميين، وكثرت الكذابة يومئذ على رسول الله كما أنذر به صلى الله عليه وآله، وتطوروا فيما اختلقوه من الحديث حسبما أوحى اليهم وكان أبو هريرة في الرعيل الأول من هؤلاء، فحدث الناس في الفضائل أحاديث منكرة».

أما بقية الصحابة رضي الله عنهم فلا يختلف موقفه منهم عن موقفه من أبي هريرة رضي الله عنه.

رابعاً: المراجعات.. قمة التزوير

«المراجعات» كتاب ألّفه عبد الحسين شرف الدين، وادّعى أنه حصيلة مناقشات ومراسلات جرت بينه وبين شيخ الأزهر السابق سليم البشري (ت: ١٩١٦) رحمه الله، وقد أصدر شرف الدين هذا الكتاب بعد وفاة البشري بربع قرن، وأظهره فيه بمظهر الجاهل بمذهبه، والمنبهر بشبهات شرف الدين، والمقرّ له على مذهبه.

وقد بيّن المحققون والباحثون كذب هذه المراجعات، وعدم صحة نسبتها إلى الشيخ البشري،

كما رفضت أسرة الشيخ الكتاب وتبرّأت منه. يقول الشيخ الدكتور علي السالوس في كتابه (مع الإثنى عشرية في الأصول واالفروع): «عبد الحسين الذي افترى كتاب المراجعات أراد أن يبين أن علامة أهل السنة وشيخ أزهرهم، والذي جاوز الثمانين من عمره، جاهل بالكتاب والسنة معا، حتى بالكتب التي تدرّس لطلاب الأزهر، ويسلّم بكل ما يقوله هذا الرافضي الشاب الطريد الذي لجأ إلى مصر، فلا ينتهي الكتاب المفترى حتى ينطق ويشهد شيخ الأزهر – وحاشاه ثم حاشاه- بما ينطق به غلاة الروافض! وإذا كان هذا هو حال الإمام الأكبر فعلى الباقي جميعا أن يسلّموا تسليما، وأن يعود الأزهر شيعياً كما بدأ!».

واستغل الشيعة هذا الكتاب لتسويغ مذهبهم وتسويقه في أوساط أهل السنة، وهو من أوائل الكتب التي تُعطى للمتشيعين، والذين يرغب الشيعة بدعوتهم إلى مذهبهم، وللشيعة أيضا، ويكفي للتدليل على ذلك بما ذكره الباحث الشيعي أحمد الكاتب في كتابه (الشيرازي: المرجعية في مواجهة تحديات التطور) من أن المرجع الشيعي الإيراني محمد المهدي الشيرازي (١٩٢٨ - ٢٠٠١م) طبع ونشر خلال تسع سنوات قضاها في دولة الكويت أكثر من ١٠٠ ألف نسخة من (المراجعات).

خامساً: موقفه من التراث الشيعي

لم يبذل عبد الحسين أدنى جهد لتنقية التشيع مما فيه من انحراف وبدعة، كي يكون التقريب والوحدة ممكنين، بل نجده في كتبه يصرّ على طامّات الشيعة، ومنها تقديسه للكتب الأربعة، التي حوت الغث قبل السمين، وضمّت مختلف أنواع الشرك والانحراف والزندقة، مثل القول بتحريف القرآن الكريم، والغلو في علي والأئمة وتأليههم، وكُفر من لم يعتقد بالإمامة.

فبعد أن أشار إلى الأصول الأربعمائة، قال (في المراجعة رقم ١١٠): «وأحسن ما جُمع منها **الكتب الأربعة** التي هي مرجع الإمامية في أصولهم وفروعهم من الصدر الأول إلى هذا الزمان، وهي: الكافي، والتهذيب، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه، وهي متواترة ومضامينها مقطوع بصحتها، والكافي أقدمها وأعظمها وأحسنها وأتقنها، وفيه ستة عشر ألف ومئة وتسعة وتسعون حديثاً، وهي أكثر مما اشتملت عليه الصحاح الستة بأجمعها،..».

موقفه من أهل السنة وعلمائهم

يرى عبد الحسين أن الحق هو ما عليه الشيعة وحدهم على اعتبار أن أئمتهم «معصومون» بخلاف الأئمة الأربعة عند أهل السنة، حيث ينتقصهم عبد الحسين أشد الانتقاص، ومِن ذلك قوله (في المراجعة رقم ١١٠): «فإنا لا نعرف أن أحداً من مقلدي الأئمة الأربعة مثلاً، ألف على عهدهم كتاباً في أحد مذاهبهم، وإنما ألّف الناس على مذاهبهم، فأكثروا بعد انقضاء زمنهم، وذلك حيث تقرر حصر التقليد فيهم، وقصر الإمامة في الفروع عليهم، وكانوا أيام حياتهم كسائر من عاصرهم من الفقهاء والمحدثين، لم يكن لهم امتياز على من كان في طبقتهم، ولذلك لم يكن على عهدهم من يهتم بتدوين أقوالهم، اهتمام الشيعة بتدوين أقوال أئمتها المعصومين - على رأيها - فإن الشيعة من أول نشأتها، لا تبيح الرجوع في الدين إلى غير أئمتها، ولذلك عكفت هذا العكوف عليهم، وانقطعت في أخذ معالم الدين اليهم، وقد بذلت الوسع والطاقة في تدوين كل ما شافهوها به،...

أما الأئمة الأربعة فليس لهم عند أحد من الناس منزلة أئمة أهل البيت عند شيعتهم، بل لم يكونوا أيام حياتهم، بالمنزلة التي تبوأوها بعد وفاتهم».



الراصد – العدد ١٤١ –ربيع الأول ١٤٣٦هـ

ما بعد الصدمة:
نحو مقاربة شاملة لمواجهة المشروع الشيعي

بوزيدي يحيى(*) – خاص بالراصد

تسعى الاتجاهات الدينية التي ترى في التشيع خطرا كبيرا على المجتمعات السنيّة إلى تطويق الظاهرة قبل استفحالها، وتبذل في هذا السياق جهودا تتفاوت من اتجاه لآخر، غير أنها لازالت جلها تنحصر في طرق (تقليدية) تتمثل تحديدا في دروس الوعظ الديني التي تحذر من الآثام الكبيرة للمسلم بتعرضه لصحابة رسول الله ﷺ أو أمنا عائشة رضي الله عنها، وغيرها من الشبه المثارة من طرف الشيعة، والتنبيه والتحذير من مجالسة أهل البدع والأهواء، ومتابعة فضائياتهم التي قد تكون صورة جديدة من ذلك.

لا يمكن من حيث المبدأ إنكار دور هذا البعد في مواجهة التشيع، كما يستحيل أن يستغنى عنه لأنه يسد ثغرة محورية بحكم أن المسألة دينية بالأساس، إلا أنه في المقابل لا نستطيع الارتكان إليه لوحده لمحاربة التشيع والاعتقاد بأن المسؤولية والواجب حول هذا الموضوع ينتهي هنا. ولعل استمرار الظاهرة بالانتشار خلال العقدين الأخيرين رغم الجهود الوعظية في التنبيه منها يستوجب الوقوف عند أسباب عدم نجاعة الأسلوب الوعظي في الحد من الظاهرة، والبحث عن مقاربات جديدة في محاربتها. فما هي الأساليب المغيبة أو الهامشية في محاربة التشيع التي يمكن الاستفادة منها؟

استطاع الشيعة النفاذ إلى المجتمعات السنية وتشكيل بؤر تشيع بغض النظر عن حجمها وخطورتها على المدى القريب أو البعيد، إلا أن الأساليب التي مكنت الشيعة من هؤلاء تستوجب الوقوف عندها،ومن خلالها التفكير في أساليب أخرى مضادة لها.

١- على مستوى الإعلام والسياسة:

شكل البعد السياسي أهم المداخل لنشر التشيع حيث استغلت إيران والقوى الشيعية الأوضاع السياسية الداخلية والخارجية في جل الدول العربية، وتبنت خطابا ينسجم مع ما تتطلع إليه الشعوب العربية وتفتقده في دولها، وهذه الجزئية، على أهميتها، إلا أن ما يتوجب الوقوف عنده في هذا الموضوع هو القدرة على تحويل المادة السياسية إلى مادة فعالة في ضرب المعتقدات السنية.

(*) كاتب جزائري.

وهنا نجد وسائل الإعلام لعبت دورا كبيرا جدا في هذه العملية، لذلك توليها إيران أهمية بالغةجدا، فهي تمتلك إمبراطورية إعلامية كبيرة، إلى جانب وسائل إعلام شيعية لمؤسسات في دول أخرى تصب في نفس الهدف، وهي مجتمعة توفر مواد تغطي كل الفئات والأعمار والمجالات، وتعمل بشكل تكاملي مع القوى السياسية، وهذا ما يجب رصده وصدّه في نفس الوقت.

فبالنسبة للفضائيات نجد أن المخصصة منها لمحاربة التشيع تعد على الأصابع، وكلها خليجية وكأن المسألة لا تعني الدول والمجتمعات الأخرى، رغم أنها الأكثر استهدافا، وحتى الحركات الإسلامية المتبنية لفكرة «خطر التشيع» حتى الساعة ما زالت عاجزة عن تأسيس فضائيات في هذا المجال أو إقناع متبرعين وداعمين لها كما يحصل على سبيل المثال لقناة الصحب والآل المصرية التي لم يستطع القائمون عليها إطلاقها لنقص الدعم.

والوضع فيما يخص الفضائيات الناطقة بالفارسية أسوأ بكثير، فهي شبه منعدمة،وعلى قلتها، فإنها دينية فقط، ويفترض أن تكون هناك فضائيات متخصصة في مختلف المجالات بما في ذلك الأطفال، وتهدف إلى تقديم المعتقدات السنية وتبيين مكامن الخلل في العقيدة الشيعية بأسلوب احترافي يشرف عليه متخصصون، وغيرها من البرامج التي تستهدف كل فئات المجتمع الإيراني.

لا شك أن إنشاء فضائيات تغطي كل المجالات والفئات كما سبقت الإشارة وفوق ذلك متخصصة ومحترفة تحتاج لأموال كبيرة جدا وتمويل من طرف دولة أو دول، ولا بد من إيجاد حلول أو العمل على مستويات أقل بالموارد المتوفرة ومحاولة استثمارها بشكل جيد، وهذا يتطلب توحيد الجهود في هذا المجال كمرحلة أولى، وخلق فرصة جديدة من خلالها، ومن الأفكار العملية محاولة القيام ببث مشترك، فكما توجد بعض المواضيع المتعلقة بحقوق الناس، وخاصة حق المرأة، والبيئة، والتي أصبحت مشتركة، وتتبنى عرضها الكثير من الفضائيات، فيمكن أن تتبنى الفضائيات الإسلامية برامج محددة أو برنامجا حول محاربة التشيع يعرض في كل الفضائيات الإسلامية.

وفي هذا الإطار يجدر التنويه على ضرورة تنويع الوجوه الإعلامية والدينية المواجهة لخطر الظاهرة، فكما يحرص الإيرانيون على تقديم رموز دينية عربية ومن مختلف البلدان وبلغات متعددة لشرعنة عقيدتهم وترويجها على أوسع نطاق، لا بد أيضا من برامج مشابهة بنفس الطريقة، ولعل تجربة برنامج «ساعة مغاربية» التي كان يقدمها الكاتب والإعلامي الجزائري أنور مالك على قناة وصال تستحق الإشادة والإعادة أو المحاكاة وابتداع برامج أخرى.

أما بالنسبة للكتاب فيبقى (ورقيا أو إلكترونيا) أحد المصادر الأساسية، لذلك يتوجب الاهتمام بالكتاب الموجه لهذا الغرض مع ضرورة وجود لجان من مختصين في شتى الجوانب يراعون مختلف الجزئيات حتى تطوق كل الشبهات، والبحث عن الطرق الأنسب لتأثيره. ويجب أن يكون بلغات مختلفة ومتعددة، وتراعى في كل لغة وحتى بلد طبيعة المجتمع، وأحسن المداخل،فالكتاب الذي يصلح للمجتمع الخليجي مثلا لا يصلح (جزئيا) للمجتمعات المغاربية. وللعلم فإن غالبالفئات المستهدفة بالخطاب الشيعي حتى وإن كان الموضوع دينيا إلا أنها لا تتقبل الخطاب الوعظي وتميل إلى النقاشات العقلية باعتبارها ذات ميول فكرية وفلسفية، لذلك يجب أن يعطى هذا البعد أهمية كبيرة في كل البرامج والمجالات.

أما بالنسبة للمواقع الإلكترونية فإن هذا المجال أكثر تقدما في محاربة التشيع، وهناك جهود معتبرة وتعاون بين بعض المواقع الإلكترونية التي

أصبحت بعد عقد أو أكثر بقليل تشكل مرجعية ومصدرا في رصد الظاهرة، وشكلت رصيدا معتبرا في مواجهتها. ونظرا للأهمية المتزايدة للإنترنيت بشكل عام، فإنه يتوجب ولـ (سهولتها) إنشاء مواقع أخرى، ولربما أكثر تخصصا، حيث تهتم بدقائق الأمور في جزئيات معينة، مع ضرورة أن تكون لكل موقع صفحة بالفارسية، حتى نتحول من الدفاع إلى الهجوم.

٢- على مستوى المؤسسات الإسلامية:

يقع على عاتق المؤسسات الإسلامية جزء كبير من تنفيذ الأفكار المشار إليها أعلاه، باعتبار أن العمل مجتمعي بل (ثغر مهم للعودة بالأمة الإسلامية إلى مجدها وعزتها)، كل حسب طاقته وقدراته، ومن الأمور البسيطة التي في مقدور كل مؤسسة إسلامية القيام بها:

- العناية بـ (الثقافة السياسية) داخل الحركات الإسلامية لفهم دور هذا البعد في حركة التشيع والشيعة والمحاججات السياسية كمدخل لمواجهة التشيع، كما على القوى الإسلامية السياسية التي فشلت فشلا ذريعا في فهم السلوك السياسي الإيراني والشيعي، والتي أصبحت جزئيا على الأقل تستحي من علاقتها بإيران وحزب الله، أن تعود إلى السياسة «كعلم» وأخذ آراء المختصين (يمكن تعميم ذلك على كل المجالات) حتى لا تكرر نفس الأخطاء.

- استحداث فروع بمختلف المؤسسات الإسلامية تهتم بموضوع المشروع الشيعي ومواجهته، والآليات القانونية والسياسية التي تتوفر لدى تلك المؤسسات والتي يمكن تفعيلها في هذا المجال، سواء عبر البرلمانات أو العلاقات الشخصية على المستوى الحكومي، والتواصل مع الحركات الإسلامية وغير الإسلامية في الموضوع ومحاولة حشد الدعم منها.

- السعي لفتح المجال للإيرانيين السنة لطلب العلم والدراسة في الجامعات الإسلامية. وإنشاء مراكز تقوم بنفس العمل داخل إيران التي استخدمت وسخّرت المؤسسات الرسمية ممثلة في السفارات الإيرانية في الدول العربية لنشر التشيع، ودعم المؤسسات الدينية الشيعية المشتغلة في هذا المجال.بكل تأكيد لن يكون الأمر سهلا حيث ستعترض طهران لا محالة، ولكن حينها يمكن استغلال ذلك إعلاميا، وتوظيفه ضدها في المحافل الدولية لحقوق الإنسان.

- إنشاء نوافذ متخصصة في المواقع الإلكترونية الرسمية لمختلف المؤسسات الإسلامية تهتم بالرد على الشيعة وإذا تعذر ذلك فعلى الأقل إبراز المواقع المتخصصة في هذا المجال على نوافذها الإلكترونية والإشهار لها.

- التنسيق مع المشتغلين على هذا المجال وتخصيص مساحة لهذا الموضوع في مختلف النشاطات التي تقوم بها المؤسسات والحركات الإسلامية من ندوات ومؤتمرات.

- ظهرت في دول عربية بعض الهيئات المختصة بمحاربة التشيع على غرار ائتلاف الصحب والآل في مصر، والهيئة الشعبية لمكافحة التشيع في الأردن، كما تُبذل بعض الجهود في مواقع التواصل الاجتماعي من طرف بعض الشباب كما هو حال صفحة «الفاضح لشيعة الجزائر»، التي تهتم برصد تحركات المتشيعين الميدانية، وما يكتبه البعض منهم أو مؤيدوهم في وسائل الإعلام، وهو تقريبا نفس الأسلوب الذي ينتهجه ائتلاف الصحب والآل في مصر. وحتى يكون لهذه الهيئات مردودية أكثر فإنها تحتاج - إضافة إلى الدعم المادي والمعنوي- أن تتبادل الخبرات والتجارب، كأن تعقد مؤسسة إسلامية مؤتمرا دوليا تستضيف فيه هؤلاء. ولعل من القضايا الملفتة للانتباه التي تتابع في مواقع التواصل الاجتماعي كيف تحيد بين الفينة والأخرى هذه الصفحات عن خطها لتدخل في مواضيع أخرى تخصم من رصيدها بشكل أو آخر، كما تصبح ساحة لتصفية حسابات معارك أيديولوجية بين

تيارات تتبنى نفس الموقف من التشيع الذي يفترض أنه عامل توحيد لها وليس تفريق، حبا لصحابة رسول الله ﷺ وآل بيته الطيبين الأطهار.

٣- على مستوى مجالات حقوق الإنسان:

يحاول الشيعةمواكبة التحولات الدولية والسعي للاستثمار فيها بشكل جيد لنشر التشيع، ومن ذلك تشكيل مؤسسات متخصصة في حقوق الإنسان مثل منظمة «شيعة رايتسووتش» وهي أول منظمة شيعية عالمية، تعنى برعاية وحماية حقوق المسلمين الشيعة في مختلف دول العالم وأروقةالأمم المتحدة. تأسست عام ٢٠١١ ومقرها واشنطن[1] .تدلل هذه النشاطات على قدرة في التكيف من طرف الشيعة تفتقد كثيرا في المجال السني للأسف الشديد، وبطء الحركة والعقبات المادية والمعنوية التي ليس آخرها الخطاب الإحباطي والاتهامات بالعمالة التي يتعرض لها المبادرون لمواجهة خطر التشيع، لذلك يتوجب الإسراع في إيجاد هيئات مشابهة تقف عند كل الجرائم التي يقوم بها الشيعة في مختلف البلدان خاصة في الداخل الإيراني، وتفعيل الآليات القانونية خاصة في الدول الأجنبية برفع دعاوى قضائية ضد سياسيين ورجال دين شيعة يمارسون أو يساهمون بشكل غير مباشر في انتهاك حقوق السنة، والتواصل مع الهيئات الحقوقية الدولية لإعاقة نشاطاتهم على الأقل.

٤- على مستوى الاقتصاد:

تمتلك المؤسسات الشيعية دعما ماديا كبيرا من طرف إيران كما يوفر لها «الخمس» مردودا كبيرا لتمويل نشاطاتها، والتبرع للمؤسسات الإسلامية في المجتمعات السنية ليس منعدما وإنما هناك تحسس من هذه المواضيع أو عدم اهتمام وشعور بالمسؤولية تجاهه، وقد سبقت الإشارة إلى الصعوبات الكبيرة التي تواجه فضائية الصحب والآل في مصر على سبيل المثال لا الحصر، لذلك يتوجب على الخطاب الوعظي التركيز على هذه الأمور، والتنبيه على ضرورة الاهتمام بقضايا التشيع وتخصيص حتى أوقاف إسلامية لهذا الغرض، ودعم المناطق الإسلامية في الدول الإفريقية وتحديدا التي ينشر فيها التشيع من مدخل الفقر والعوز.

الخلاصة:

تعتبر المرحلة السابقة مرحلة الصدمة الأولى التي صعب حينها إدراك المشكلة الشيعية من مختلف الزوايا. ولكن مرحلة ما بعد الثورة السورية التي أبانت عن أحقاد الشيعة التي كانت تتحدث عنها كتب التاريخ، وأوضحت القدرة التخريبية لهذا المشروع تستدعي الوقوف مطولا عند هذه الإشكالية من مختلف الأطياف الإسلامية لصياغة رؤية متكاملة حول الموضوع. وصياغة مشروع مضاد يغطي كل الجوانب، ويسد كل المداخل بل وأكثر من ذلك يستشرف المستقبل ويضع موانع تحول دون تسرب الظاهرة للمجتمعات السنية ثانية، واستحداث آليات فكرية تستشعر مثل هذه المخاطر، ولم لا، الانتقال إلى مرحلة الهجوم وتطويق الظاهرة في بيئاتها.

---

(١) تهدف المنظمة حسب رؤيتها إلى لفت انتباه المجتمع الدولي ورفع الوعي الدولي لما يجري من انتهاكات ضد الشيعة في العالم. وتعتمد المنظمة منهجية وإستراتيجية الاستقصاء الصحفي وتوثيق الحوادث عبر ممثليها في مختلف الدول وعرض التقارير الدورية والتبليغ عن الانتهاكات بهدف حماية حقوق الشيعة، غير أن هناك أبعادا أخرى للمنظمة خاصة لاختيارها العاصمة الأمريكية واشنطن مقرا لها، لتفاصيل أكثر حول الموضوع انظر: معتز بالله محمد،شيعة رايتسووتش،لحقوق الإنسان وجوه أخرى، مجلة الراصد، العدد١٣٢، ٢٠١٤/٠٣/٣١، على الرابط:
http://alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=6576

الأسرة المسيحية تحت المجهر
قراءة في ثنائية المقدس واللاأخلاقي

فاطمة عبد الرءوف(*) – خاص بالراصد

تعددت أوجه الإعجاز التي جاء بها ديننا الحنيف والتي جاءت متوافقة مع كونه الدين الخاتم الذي لن يأتي دين آخر لتكملته أو تصحيح بعض أحكامه وما يترتب على ذلك من ضرورة أن يستطيع الانسجام والتفاعل والإصلاح مع كل المتغيرات البشرية في طورها التاريخي النهائي وهو ما لا تستطيع أي نظرية أو فلسفة القيام به على مدار كل هذه القرون إلا أن تكون شريعة وعقيدة إلهية صحيحة فالخالق العظيم هو من يعرف حقيقة وكنه الإنسان وأغوار نفسه وما يستطيعه وما لا يستطيعه ومن ثم يقدم له التشريعات التي تُصلح أحواله ومعاشه.

نستطيع القول إذن إن الشريعة الإسلامية وما تضمنته من أحكام هي أحد أوجه الإعجاز الخالدة التي جاء بها الإسلام لأنها شريعة تتعامل مع واقع الإنسان بكل ميوله ومشاعره المعقدة وتسمو بها لاقصى درجات السمو التي يستطيعها وتجعل لذلك حدا أدنى يستطيعه كل إنسان بقليل من المجاهدة وحداأقصى من يحاول تجاوزه يغوص في مستنقع الغلو والبدع.

ولو تحدثنا عن الجانب الاجتماعي تحديدا والتشريعات المتعلقة بالمرأة والأسرة وما إلى ذلك سنجد أكبر توضيح لهذا الإعجاز، ويتضح الأمر أكثر إذا استخدمنا المنهج المقارن فقارنّا بين التشريع الإسلامي في هذا الجانب وبين أي تشريع آخر وسنتناول في هذا المقال ذلك المنهج المقارن مع أحكام وشكل الأسرة المسيحية كما تمثلتهاأدبيات الكنيسة القبطية المصرية.

الزواج للضعفاء

عندما يخلق المولى عز وجل دافعا في النفس البشرية لا يخلقه عبثا ولا يتركه هملا فإن استقامة الإنسان رهن بإشباع هذا الدافع بطريقة لائقة بمن كرمه المولى وأسجد له ملائكته وليس ثمة ما يخجل الإنسان منه وهو يسعى لإشباع دوافعه وفقا لمنهج خالقه. ومن الدوافع الفطرية الأصيلة الدافع الجنسي الذي نظر له الإسلام باحترام وسعى لإشباعه بصورة سوية حتى أنه اعتبر هذا الإشباع صدقة يؤجر عليها وفقا لقاعدة بسيطة ورائعة وهي أن كل أمر مباح وطبيعي إذا أشبع وفقا لمنهج الله يثاب عليه الإنسان، كما سيعاقب لو تم إشباعه بطريقة منافية للمنهج، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟، فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ») رواه مسلم.

في حين نظرت المسيحية باشمئزاز للدافع الجنسي واعتبرته موطن ضعف، ورأت أن الكمال يتأتى باستعلاء الإنسان عليه، يقول القديس أغسطين: (الآن يعمل الرجل أحسن لو أنه لم يتزوج حتى زوجة واحدة، إلا إذا كان لا يستطيع أن يضبط نفسه)، وإذا ترمل الرجل أو المرأة فعليه ألا يعيد هذه التجربة مرة ثانية لأن ذلك زواج غير المتعففين وبالتالي لن يباركه الكاهن وبدلا من ذلك سيصلي له صلاة الاستغفار، «وهكذا سمح بالزواج الثاني لغير المتعففين».

إن الذي يفكر في إحصان نفسه وتكرار تجربة الزواج يبعد ويعاقب، (تأخذ الكنيسة إجراءات حازمة مشددة تجاه من يتزوج ثانية بعد وفاة زوجته الأولى.

(*) كاتبة مصرية.

أول تلك الإجراءات هو أنها تفرض عقوبة على المتزوج ثانية، بأن تبعده عن الكنيسة وعن تناول الأسرار المقدسة مدة من الزمن، شرحها القديس باسليوس الكبير في القانون الرابع من رسالته القانونية الأولى. فقال: «الذين تزوجوا للمرة الثانية، يوضعون تحت عقوبة كنسية لمدة سنة أو سنتين. والذين تزوجوا للمرة الثالثة لمدة ثلاث سنين أو أربع. ولكن لنا عادة أن الذي يتزوج للمرة الثالثة يوضع تحت عقوبة لمدة خمس سنوات، ليس بقانون وإنما بالتقاليد). والذي يتزوج ثانية يمنع من الكهنوت أما الذي يفكر في الزواج لثالث مرة فيعتبر من الأنجاس في زعمهم، («الزيجة الثالثة هي علامة الغواية لمن لم يقدر أن يضبط نفسه. والأكثر من الثالثة هي علامة الزنا الظاهر والنجاسة التي لا تذكر»).بل بلغ التضييق والتعنت أنهم يحثون الأزواج على التضييق والكبت للحد الأقصى اللاإنساني، (« كل واحد منا ينظر إلى زوجته التي تزوجها حسب القوانين التي وضعت بواسطتنا، وهذه فقط لغرض إنجاب البنين، وكما أن الزارع يلقي بذاره في الأرض منتظرا المحصول، ولا يلقي فيها أكثر، هكذا معنا...»).

(فليتحرروا أولا فترات قصيرة من قيد الزواج ويتفرغوا للصلاة. وعندما يذوقون حلاوة العفة، سيطلبون دوام تلك المتعة الوقتية [متعة البُعد عن المعاشرة]).

فأين هذا من قول النبي ﷺ: يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ». رواه البخاري ومسلم.

وعندما جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي – ﷺ – يسألون عن عبادة النبي – ﷺ – ، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها [أي: عدُّوها قليلة]، فقالوا: أين نحن من النبي – ﷺ – ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا [أي: دائما دون انقطاع]، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر [أي: أواصل الصيام يومًا بعد يوم]، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا.

فجاء رسول الله – ﷺ – فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» رواه البخاري ومسلم.

نهى الإسلام إذن عن التشدد «لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم فإن قوما شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم فى الصوامع والديار»، رواه أبو داود. فديننا يسر بسيط متوافق مع طبيعة النفس البشرية «إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه» رواه البخاري.

الزوجة الواحدة

(إن وحدة الزواج في المسيحية أمر مسلم به عند جميع المسيحيين في العالم كله على اختلاف مذاهبهم من أرثوذكس إلى كاثوليك إلى بروتستانت.

اختلفوا في موضوعات لاهوتية وتفسيرية كثيرة، واختلفوا في بعض التفصيلات في موضوع الأحوال الشخصية نفسه. أما هذه النقطة بالذات «الزوجة الواحدة»، فلم تكن في يوم من الأيام موضع خلاف. وإنما سلمت بها جميع المذاهب المسيحية، وآمنت بها كركن ثابت بديهي من أركان الزواج المسيحي.

فعلى أي شيء يدل هذا الإجماع، الذي استمر بين هذه المذاهب كلها طوال العشرين قرنا من بدء نشر المسيحية حتى الآن؟ واضح أنه يدل على أن هذا الأمر هو عقيدة راسخة ليست موضع جدل من أحد).

تبعا لفلسفة المسيحية في النظر للدافع الجنسي

بـازدراء كـان مـن المنطقـي أنـه وفي حالـة الـضرورة لـضعفاء النـاس أن يتزوجـوا حتـى لا يقعـوا في فاحـشة الزنـا، وكمـا سـبق وأوضـحنا فـإنهم يـسعون للتعفـف حتـى داخـل هـذه العلاقـة الواحـدة، بحيـث لا يلجـأ الزوجـان للعلاقـة الحميمـة إلا في حالـة الـضرورة، كلـون مـن الـورع والترفـع عـن المتـع الجـسدية، وبلـغ بهـم الـرفض لـشريعة تعـدد الزوجـات أنهـم رأوا فيـه خطيئـة تتجـاوز الزنـا («تعـدد الـزواج بالنـسبة إلينـا، خطيئـة أكثـر مـن الزنـا، فليتعـرض المـذنبون بـه للقـوانين»، القـانون ٨٠ مـن الرسـالة القانونيـة الثالثـة للقـديس باسـيليوس، وذلـك طبعـا لأنـه زنـا دائـم، ولـيس زنـا عرضـيا) إنهـم يـضعون الأمـر في قالـب فلسفي ولكنـه هـش للغايـة (قـال لهـم «أمـا قـرأتم أن الـذي خلـق، مـن البـدء خلقهمـا ذكـر وأنثـي». وقـال «يـترك الرجـل أبـاه وأمـه ويلتـصق بامرأتـه ويكـون الاثنـان جـسدًا واحـدًا؟ إذن ليـسا بعـدُ اثنـان بـل جـسد واحـد. فالـذي جمعـه اللّه لا يفرقـه إنـسان» (متّـى ١٩: ٤- ٦).

لا يـــستطيع جـــسد ثالـــث أن يـــدخل بينهمـــا ويفرقهمـا - ولـو إلى حـين- ليوجـد لـه اتحـادًا - إلى حـين- مـع طـرف منهمـا. لأن الـزواج لـيس متكونًـا مـن ثلاثـة أطـراف بـل مـن طـرفين اثـنين فقـط، كمـا ظهـر مـن كـلام الـسيد المـسيح، وكمـا تكرر التعبير بالمثنى في كلامه أكثر من مرة).

إذا كـان الأصـل أن يكـون للـزوج زوجـة واحـدة فـإن ذلـك لا يمنـع مـن أن هنـاك عقبـات كـثيرة جـدا قـد تواجـه هـذا الـزواج ..عقبـات ماديـة ونفـسية وصـحية معقـدة وضـرورات متنوعـة بتنـوع الإنـسان وجنـسه البـشري تجعـل مـن الـضروري أن يتخـذ الرجـل زوجـة ثانيـة وربمـا أكثـر، ولعـل أشـهر هـذه الحـالات عـدم إنجـاب الزوجـة أو مرضـها ولكـن ثمـة أسـباب كـثيرة خاصـة قـد تـدفع بـالقبول بتعـدد الزوجـات بـضوابط كـثيرة يـأتي علـى رأسـها العـدل ولكـن الكنيـسة لا تـرى الواقـع ولا تريـد أن تـراه، ونظامهـا الاجتمـاعي كلـــه لا يـــرتبط بـــالواقع قيـــد أنملـــه ولكـــنهم يـصطدمون بتعـدد زوجـات الأنبيـاء كـسيدنا إبـراهيم وسـيدنا يعقـوب فيحـاولون جاهـدين لـيّ أعنـاق الحقـائق حتـى يـصلوا لـشريعة الزوجـة الواحـدة فتـارة يتعللـون بالواقعيـة الـتي ينبغـي أن تتحلـى بهـا الـشريعة (وكـان مـن غـير المعقـول أن يعطـي اللّه النـاس شـريعة فـوق مـستواهم لا يـستطيعون تنفيـذها) أفـلا يـرون أنهـم أوقعـوا النـاس في عنـت ولم يفكـروا أن يقـدموا أحكامـا تناسـب أتبـاعهم؟ وتـارة يتحـدثون عـن مباركـة الـرب للنسل الكـثير («أعجيـب»... بعـد كـل هـذه المواعيـد بكـثرة النـسل كنجـوم الـسماء ورمـل البحـر... أن يتخـذ إبـراهيم لـه أكثـر مـن زوجـة؟! ظانًـا في نفـسه أن هـذا قـد يتفـق ومـشيئة اللّه في مباركـة نسله)!

بـل إنهـم يحكـون قصـصا موغلـة في القـبح ولا تليـق بالأنبيـاء ولا يـرون في ذلـك بأسـا ولا انحطاطـا ويـتم تأويلـها تـأويلا روحانيـا (وإنمـا تـسرى إبـراهيم في عـصر خافـت فيـه ابنتـا قريبـه لـوط مـن انقـراض العـالم بعـد حـرق سـادوم وعمـورا، وهـرب هـذه العائلـة الـصغيرة وحيـدة في الأرض، فأسـكرتا أباهمـا، وأنجبتـا منـه نـسلًا دون أن يعلـم (تكـوين ١٩: ٣١- ٣٨)... لـيس عـن شـهوة ولا دنـس، وإنمـا رغبـة في النسل، وخوفًا من انقراض الأسرة في الأرض).

وتـارة يغرقـون في تفـسيرات باطنيـة لا دلالـة عليهـا وإنمـا هـو ضـرب مـن الخلـط اللامعقـول كعـادتهم في عقائـدهم أيـضا (كانـت زوجـات الآبـاء الكـثيرات رمـزا لكنـائس مـستقبلة مـن شـعوب كـثيرة تخـضع لعـريس واحـد هـو المـسيح . أمـا سـر الـزواج بواحـدة في أيامنـا، فيـشير إلى وحـدتنا جميعًـا في خـضوعنا للّه، نحن الذين سنصبح فيما بعد مدينة سمائية واحدة»).

الطلاق المحرم

ولعـل أقـسى مـا يعانيـه شـعب الكنيـسة هـو معاناتـه مـع قـضية الطـلاق فهـم وقـد قبلـوا علـى مـضض فكـرة ضـرورة الـزواج لأبنـاء الكنيـسة مـن العلمـانيين، وقبـل المـسيحيون بـشريعة الزوجـة الواحـدة الـتي تم اجبـارهم عليهـا دون سـند واضـح مـن نـصوص الإنجيـل المحـرف

الذي بين أيديهم ولكن عندما تضيق الحياة مع هذه الزوجة الواحدة وتتكسر كل رابطة ولا يبقى إلا الكره يعشش في القلوب تظل الكنيسة على اعتقادها بأسطورة الجسد الواحد الذي هو أحد أسرارها السبعة ويبقى من يحصل على طلاق بحكم المحكمة ويتزوج ثانية يعامل كزان فاحش في نظر الكنيسة وشعبها وفي دولة كمصر لا يزال للكنيسة الأرثوذكسية المرقسية دور معتبر حيث لم يتم تجاوزها كما الكنيسة الكاثوليكية في أوربا، تتفاقم أزمة المطلقين ومن يرغبون في الطلاق دون أن تتعاطف الكنيسة مع قضيتهم العادلة بل بقيت في برجها العاجي تتحدث عن الجسد الواحد المقدس والمسكون بالرفض والكره في نفس الوقت، إنهم يستدلون على منع الطلاق بالنص التالي:

(عندما أتى الكتبة والفريسيون يسألون السيد المسيح عن الطلاق ليجربوه، قال لهم «إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم، ولكن من البدء لم يكن هكذا» (متّى ١٩ : ١٨) يفهم من هذا ضمنا أن السيد المسيح يهمّه أن ترجع الأمور إلى ما كانت عليه منذ البدء. لأن النظام الذي وضعه الله للبشرية منذ البدء كان هو النظام الصالح له، وإذا حادت البشرية عنه كان يجب أن ترجع إليه).

لقد ألغي الطلاق في العهد الجديد، إلا لعلة الزنا، لأن هذه الخطيئة بالذات تكسر جوهر الزواج من أساسه . الكنيسة الكاثوليكية ترفض الطلاق حتى لو ثبتت علاقة الزنا . فهل هذه الخطيئة فقط ما يكسر جوهر الزواج؟!

احتقار المرأة

على الرغم من أن الظاهر أن شريعة الزوجة الواحدة تقف في صف المرأة حتى لا تكون لها ضرة، وعلى الرغم من أن منع الطلاق قد يحمل نوعا من الأمان للمرأة إلا أن الحقيقة غير ذلك تماما فالمرأة التي قد تقضي أسبوعا من كل شهر في حالة حيض مخلوق نجس في شريعتهم بحيث ينبغي اجتنابها وعدم الاقتراب منها أو لمسها بل وحتى المرأة المستحاضة التي تصلي وتصوم ويجامعها زوجها في شريعتنا هي في نظرهم نجسة كالحائض تماما (أن مسها وهي «في نجاسة طمثها» يصبح هو أيضًا نجسًا إلى المساء وكذلك إن كانت ذات سيل، في غير أيام طمثها (لاويين ١٥ : ١٩، ٢٧).

وعلى نحو ما تساوت الأرملة والمطلقة والمدنسة والزانية،ولا يسمح العهد القديم للكاهن الأعظم بالزواج بها ويرى في ذلك الأنبا شنودة لمسة على طريق البتولية «هذا يأخذ امرأة عذراء أما الأرملة والمطلقة والمدنسة والزانية، فمن هؤلاء لا يأخذ بل يتخذ عذراء من قومه امرأة (لاويين ٢١ : ١٣، ١٤). ولا يمكن في هذا الصدد أن ننسى اجتماع مجمع ماكون الكنسي لبحث ما إذا كانت المرأة روحا أم جسدا لا روح فيه عندما قرر رجال الكنيسة مجتمعون أن المرأة خلو من الروح الناجية – من عذاب جهنم – ما عدا أم المسيح عليه السلام.

فكيف يكون نصف الجسد الواحد خاليا من الروح الناجية ثم يتحدثون عن تشريعات تنصف المرأة فأين ذلك من قوله تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل :٩٧].

السقوط اللاأخلاقي

يقول القديس باسيليوس الكبير (من آباء القرن الرابع الميلادي) في «رسالته إلى ديودورس» «إن عادتنا لها قوة القانون، لأن القواعد سلمت إلينا من أناس قديسين».لعل هذه العبارة الموجزة هي جوهر التشوه والانحراف الذي أصاب المسيحية. إنها ديانة تكونت عبر أجيال ممن يطلق عليهم القديسون فاسبغوا عاداتهم وأفكارهم ومشاعرهم وفلسفاتهم

المختلطة بفلسفة اليونان والمعتقدات الباطنية الشرقية.

وفي قضية الرهبنة والنظر للمرأة والزواج نستطيع تلمس آثار الديانة البوذية على المسيحية فهل يمكن مقارنة شريعة الله الحقة الذي يعرف دواخل الإنسان بشريعة ملفقة أو على أقل تقدير جاءت في زمن محدود لأناس بعينهم هم بنو إسرائيل الذين تغالوا في المادية فجاءت لإصلاح أحوالهم وليس لتكون مذهبا عالميا، والنتيجة الحتمية عندما طبقت هذه الشريعة أن استشرى الفساد بين من يزعمون القداسة.

يكفي في هذا الصدد أن نذكر الراهبة الكندية الكاثوليكية ماريا مونك صاحبة كتاب (فضائح بشعة) التي تحكي فيه عن الجرائم البشعة والفحش الموجود في الدير حتى وصل الحال لأطفال يولدون من سفاح ثم يقتلون ويدفنون داخل الدير[1].

وما فضائح القساوسة الجنسية التي هزت الكنائس الكاثوليكية ببعيدة، وما تستر الفاتيكان وتدميره للأدلة التي تدين القساوسة بالأمر الجديد ووفقا لاعترافات الحبر الأعظم في الفاتيكان فإن من بين الاثنين في المئة - وفقا لتقديره - المولعين جنسيًّا بالأطفال هناك قساوسة وأساقفة وكرادلة. أما الآخرون - وهم كثيرون- فهم يعرفون لكنّهم يتكتمون على الأمر.

إن عشرات الألوف من الأطفال تعرضوا، على نحو ما، لتحرشات من القساوسة حتى أنهم أسسوا شبكة أطلق عليها «شبكة الناجين من تحرش القساوسة».

والأمر في الكنيسة القبطية ليس بأحسن حالا فالسبب الحقيقي وراء قيام الكنيسة المصرية بمنع قيام فتيات وسيدات الأقباط بارتداء البنطلونات أو وضع المكياج داخل الكنائس، هو تزايد حالات التحرش داخل الكنائس والأديرة والتي وصلت إلى حد الاغتصاب في بعض الحالات، وذكروا أن هناك عدة حالات من تحرش رجال الكنيسة من القساوسة والرهبان بالفتيات والسيدات داخل الكنائس والأديرة أو في الرحلات السياحية التي تقوم بها الكنائس إلى الشواطئ والقرى السياحية، وهو الأمر الذي تزايد بشكل كبير في الآونة الأخيرة.

وقد انتشرت صور فاضحة لعدد من القساوسة والرهبان المصريين وهم في أوضاع مخلة مع بعض الفتيات والسيدات، وهو الأمر الذي أزعج قيادات الكنيسة المصرية واعتبروه تهديدا حقيقيا لسمعة الكنيسة ورجال الدين المسيحي.

هكذا تحول الغلو في السمو والاستعلاء على ضرورات الجسد لسقوط لا أخلاقي مروع بينما نرى إعجاز شريعتنا الإسلامية في حالة التوازن والانسجام بين الواقع البشري بضروراته والسعي الحثيث نحو المثالية والكمال في وحدة واحدة.

الغلو في المثالية والسعي للقداسة يؤدي لنتيجة عكسية وهي التردي في المطلق اللاأخلاقي ومن ثم فواقعية الإسلام في التعامل مع النفس البشرية والسعي للتوازن بين التشبع بالقيم العليا وإشباع الغرائز البشرية الطبيعية بطرق سوية هو المنهج الاجتماعي المثالي الممكن الذي تحتاجه البشرية.

❖ جميع النقول المتعلقة بالكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد وآراء القديسين نقلا عن كتاب «شريعة الزوجة الواحدة» للأنبا شنودة، رأس الكنيسة القبطية المصرية السابق.

(١) نقلا عن مقال «أنين من باطن الأرض» لفيصل بن علي الكاملي.

الإلحاد في مصر...
دعوة المواجهة بين السياسي والديني

أسامة الهتيمي(*) – خاص بالراصد

هل كانت التحذيرات التي أطلقتها مؤخرا مؤسسة الأزهر الشريف - أهم وأكبر مؤسسة دينية في مصر - حول ما يشكله تزايد عدد الملحدين في البلاد من خطورة وأثر ذلك على الأمن القومي تعكس خوفا حقيقيا من قبل هذه المؤسسة ورجالها على وضع الدين الإسلامي وحالة التدين لدى الشعب المصري ومن ثم فإن إطلاق هذه التحذيرات بمثابة قوة دفع لكل المعنيين بالتحرك لوقف تفشي هذه الظاهرة ؟

أم أن مثل هذه التصريحات لم يكن إلا جزءا من حزمة مواقف وتحركات ضمن السياسة العامة لكل مؤسسات الدولة المصرية في إطار حالة الصراع السياسي التي تشهدها البلاد منذ أكثر من عام ونصف خاصة وأن العديد من المؤسسات والمراكز البحثية الدولية كانت قد سبقت الأزهر الشريف ونبهت إلى هذه الظاهرة منذ أكثر من عامين حتى أن بعض هذه الجهات أكدت أن نسبة الملحدين في البلاد وصلت إلى ٣٪ من عدد السكان، أي ما يقارب الثلاثة ملايين نسمة ومع ذلك لم يقابل الأمر بأي اهتمام سواء من الأزهر الشريف أو حتى من وسائل الإعلام المصرية التي يعرف عنها الميل إلى تناول كل ما هو مثير والتي كان يمكن أن يمثل لها حديث الإلحاد والملحدين مادة إعلامية خصبة تستقطب الكثير من المتابعين والمشاهدين..

بل على العكس من ذلك إذ غلبت على تعليقات الكثير من الأزهريين أن الأرقام التي تطرحها وسائل الإعلام عن الملحدين تحمل الكثير من المبالغة وأن القضية لم ترق لمستوى الظاهرة فالشعب المصري – ووفق تصورهم – شعب متدين .. وظل ذلك هو موقف الأزهر وجامعته ومشايخه حتى جاء نشر تقرير مركز «ريد سي» التابع لمعهد «جلوبال» الذي لفت إلى أن مصر تتصدر الدول العربية في عدد الملحدين بـ٨٦٦ ملحدا بعدما كانت تتصدر الدول الأكثر تدينا في العالم ٢٠٠٩ بنسبة ١٠٠٪.

إحصائيات افتراضية

ربما من السهل جدا التشكيك في صحة الإحصائيات المتعلقة بأعداد الملحدين في مصر ذلك أن هناك أسباب قوية تمنع بالفعل من إعلان الملحدين عن أنفسهم خشية البطش بهم سواء على المستوى القانوني أو حتى من جانب الجماهير بالإضافة إلى أن هناك ملحدين بالفعل لم يلتفتوا لقضية الإلحاد أو يعيروها أهمية بمعنى أنهم يمارسون حياتهم بتصورات عقدية خاصة دون التوقف عند مسألة الإعلان عنها أو الاستجابة لدعوى حقهم في الدفاع عن حرية الاعتقاد فالمسألة لا تشغلهم من قريب أو من بعيد إذ الأهم لديهم هو ممارسة حياتهم وإشباع رغباتهم.

كما يطعن في صحة هذه الأرقام أيضا أن إحصاء أصحاب الاعتقادات الأخرى بخلاف الإسلام والمسيحية أمر غير وارد على المستوى الرسمي ذلك أن بطاقات الهوية المصرية لا تسمح للمصريين سوى بتسجيل إحدى الديانتين وعليه فإن تقدير الأعداد ربما يعود لمصادر غير دقيقة منها مواقع التواصل الاجتماعي وبعض «الجروبات» التي تعلن عن أعداد للملحدين وهو أمر مشكوك فيه أيضا إذ لا تسلم هذه الصفحات من شبهة المبالغة في إطار دعوة آخرين وتشجيعهم على الإلحاد وتصوير الأمر وكأنه شيء طبيعي يشاركه فيه الكثيرون.

(*) كاتب مصري.

ولا يعني أن تشكيكنا في صحة الأعداد تقليل لخطورة الأمر فلربما كانت الأعداد أقل أو أكثر لكننا فقط أردنا أن نشير إلى أنه يجب أن لا تكون مسألة الأعداد هي الحاكمة لنا في تقييم القضية والتعاطي معها فإلحاد مسلم واحد كفيل بأن يدفع الجميع إلى النفير لبحث الأسباب وتلاشيها والعمل على عدم تكرار ذلك خاصة إذا انتقل هذا الشخص من طور الخروج عن ملة الإسلام إلى الجهر بذلك والدعوة للإلحاد فالإسلام لا يجبر مطلقا أحدا على الإيمان به. يقول الله تعالى: «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» لكن ما يرفضه الإسلام هو الجهر بهذا الكفر والدعوة له فذلك من قبيل محاربة الله ورسوله التي يجب أن يتم الوقوف لها بالمرصاد حتى لا تكون تهديدا لأمن واستقرار المجتمع الإسلامي.

البعد السياسي

والحقيقة أن تصريحات الأزهر الشريف والهيئات المحسوبة عليه حول الإلحاد وفي هذا التوقيت لا تخلو من بعد سياسي إذا بدا أن المؤسسة أرادت توظيف تنامي ظاهرة الإلحاد وتزايد عدد الملحدين بشكل سياسي تنطلق في إطار تناوله لتوجيه أصابع الاتهام لتيارات الإسلام السياسي ورجالاته والذين وفق ما صرح به العديد من مشائخ الأزهر ودعاته المتهمين والمسئولين الأوائل عن وجودها وهو ما أكده الدكتور مجدي عاشور مستشار مفتي الجمهورية في تصريح صحفي قال فيه «إن بيان الإفتاء الصادر اليوم بزيادة معدلات الملحدين في مصر كان لجسّ النبض من قبل الجماعات المتطرفة وما أوصلت الأمة إليه وسببته بعزوف الشباب عن الدين والاتجاه إلى الإلحاد لما رأوه منهم».

وعلى الرغم من أن مثل هذه التصريحات لم تشر بشكل صريح إلى جماعة الإخوان المسلمين أو أي من الجماعات المصرية المناصرة لها إلا أنها تحمل إسقاطا عليها بعد أن تم وصف الجماعة وبشكل رسمي وقانوني بأنها جماعة إرهابية فضلا عن أن ما ترسخ في وعي الكثير من القطاعات أن المعني بهذا الاتهام هم قادة الجماعة وكوادرها إذ حملت الكثير من التحليلات والمقالات والتحقيقات الصحفية والإعلامية اتهاما صريحا مفاده أن الفشل الذي منيت به الجماعة في إدارة الدولة بقيادة الرئيس الدكتور محمد مرسي كان دافعا للكثير من الشباب إلى الإلحاد إذ تم الربط بين هذا الفشل والدين الإسلامي وتعاليمه بالإضافة إلى أن مرسي وشركاءه بدوا أمام الجماهير وكأنهم كاذبون لم يصدقوا فيما قطعوه على أنفسهم من وعود لم يتمكنوا من الوفاء بها وظهروا بمظهر اللاهثين فقط خلف الكراسي متساوين في ذلك مع باقي رجالات السياسة الذين يرفعون شعارات الزيف والخداع.

كذلك فقد لفت علماء الأزهر إلى وجود علاقة بين حالة التشدد الديني لدى بعض المنتسبين لجماعات إسلامية وبين الإلحاد رابطين في ذلك بين ما شهدته أوروبا من موجه إلحاد عاتية وبين مغالاة الكنيسة وسيطرتها على مناحي الحياة، الأمر الذي أحدث ردة عقائدية في المجتمع الأوربي وهو التفسير الذي لا شك أنه واقع تاريخي ثابت أشارت إليه كتابات الملحدين أنفسهم لكن السؤال وهل هؤلاء المتشددون دينيا من عناصر الجماعات الإسلامية – إن جاز وصفهم بذلك – يمثلون الدين لدى الجماهير أم أنهم مجرد أفراد لا يعبرون إلا عن أنفسهم وقناعاتهم فيما يفترض أن تبقى المؤسسات الدينية هي مرجعية كل المسلمين في البلاد؟

كما كانت تصريحات الأزهر توظيفا يخدم تطورات المشهد الإقليمي والدولي الذي يشهد حالة صراع فيما بين ما يسمى بالتحالف الدولي لمحاربة الإرهاب الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الجماعات المقاتلة في سوريا والعراق وخاصة ما يسمى بتنظيم الدولة الإسلامية «داعش» وجبهة النصرة – التابع لتنظيم القاعدة - وغيرهما من

التنظيمات الداعمة والمبايعة لهما في كل البلدان العربية والإسلامية ومن بينها مصر نفسها التي بايع فيها مؤخرا ما يسمى بتنظيم «أنصار بيت المقدس» تنظيم «داعش».

وقد حاولت مؤسسة الأزهر وما يتبعها من هيئات الربط بين ما يبثه الإعلام حول هذه التنظيمات من سلوكيات بعيدة عن القيم والروح الإسلامية وبين اتجاه الشباب للإلحاد إذ تثور داخل أذهان هؤلاء الشباب تساؤلات كثيرة في إطار الرفض والاحتجاج على ما تقوم به هذه التنظيمات كونه فعلا لا إنسانيا، ولا يمكن أن يعبر عن أن فاعليه ينتمون إلى أي قيمة أخلاقية ومن ثم يحملون تلك العقيدة التي يؤمنون بها مسئولية ما يفعلونه وهو ما أشار إليه إبراهيم نجم مستشار مفتي الجمهورية في مداخلة هاتفية لأحد البرامج التلفزيونية حيث قال: «اشتغلنا ٩٠ ساعة على تقرير الإلحاد، ومسحنا المواقع الإلحادية ووجدنا أنهم تأثروا بالمشاهد التي تدعيها الحركات المتشددة وقالوا لا يمكن لأي من الأديان التي تدعي السماحة أن يرتكب فاعلوها العنف والقتل والسبي».

وعلى الرغم من أن مثل هذه الأسباب ربما تكون بالفعل وراء تنامي الظاهرة وتفشيها أو على الأقل أحد الإشكاليات التي تدفع البعض للتشكك والنفور من الدين وتعاليمه إلا أن هذا لا يمنع من أن الأزهر بهذه التصريحات يبدو وكأنه يقوم بدور سياسي محدد خاصة وأن التصريحات جاءت متزامنة مع المؤتمر الذي عقده الأزهر حول الإرهاب ومواجهته في الوقت الذي خلت فيه كلمة شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب أو أي من الكلمات الافتتاحية من الإشارة إلى الإرهاب الذي تمارسه الأنظمة بحق شعوبها أو تلك الانتهاكات التي ترتكبها قوات الاحتلال الصهيوني بحق الفلسطينيين أو ما ترتكبه القوات الأمريكية بحق معتقلي جوانتانامو أو ما تمارسه الدولة الإيرانية الفارسية بحق السنة في إيران أو العراق وكأن الإرهاب مقصور بحسب على المسلمين السنة.

وهنا نجدنا مدفوعين مرة أخرى إلى التساؤل حول تقييم الدور الذي يقوم به الأزهر وغيره من المؤسسات الدينية .. فإذا كانت مثل هذه الجماعات الإرهابية قد دفعت ببعض الشباب إلى الإلحاد فإن هذا يعني أن هذه المؤسسات لا تقوم بواجبها ودورها على أكمل وجه وأن هؤلاء الشباب غير المتدين بالأساس أو على الأقل غير المتعمق في العلوم الشرعية تعاطى مع هذه الجماعات كونها تمثل الإسلام فيما غابت هذه المؤسسات عن الساحة على الرغم من أنه يفترض أن تقوم هي بتصحيح المفاهيم والرد على ما يثار من شبهات وتبرئة ساحة الإسلام وتعاليمه مما يرتكبه البعض من المنتسبين له.. لكن الحقيقه أن مؤسسة الأزهر والهيئات التابعة له تشارك هي الأخرى بشكل أو بآخر في حالة تنفير الشباب من الإسلام وذلك للكثير من الأسباب لعل من بينها سلوك بعض المحسوبين عليه وانخراط البعض من دعاته وعلمائه في الصراع السياسي وإصدارهم فتاوى تشعر متابعيها بأنها فتاوى مفصلة لا تستند إلى دليل شرعي وأنها ليست إلا محاولة لإرضاء السلطة لتحقيق تطلعات خاصة بأصحابها.

بل والأسوأ أن يكون من بين الملحدين والمروجين للإلحاد طلاب وأساتذة في جامعة الأزهر وهو الأمر الذي لم يعد خافيا على أحد بل أصبح حديثا متداولا عاما بين الجميع يتحدثون به علانية وهو بالطبع أمر مثير للحيرة والأسف فمثل هؤلاء لا يفسر موقفهم على الفهم الخاطئ للدين أو أنهم يفتقدون القدرة على كشف التباين بين ما يسلكه البعض من المنتسبين للدين الإسلامي من سلوكيات عنيفة وخاطئة وبين الإسلام وتعاليمه وعليه فإن ثمة خللا كبيرا يجب أن تلتفت له وفورا مؤسسة الأزهر الشريف كونها المنوط بها أصلا الدفاع عن الإسلام وقواعده.

قضية الإلحاد بمعنى إنكار وجود إله - الذي هو أحد أشكال الكفر- واحدة من القضايا القديمة المتجددة ذلك أنه لم يخل منها عصر أو حقبة تاريخية ما كان دافعا للمجتهدين والعلماء المسلمين للرد عليهم والاجتهاد في فهم الآيات القرآنية التي تناولت شبهاتهم ليس فقط لإقناع الضالين أو الملحدين بالعودة ولكن أيضا للمشاركة في تحصين الآخرين من الوقوع في هذا الفخ.

وبطبيعة الحال ظلت هناك أسباب واحدة تتكرر مع كل زمان وعصر تعلقت هذه الأسباب بأوهام ومزاعم فلسفية تبناها البعض فوصلت بهم إلى حد الكفر والإلحاد.

وعلى الرغم من أنه تم تناول مثل هذه القضايا ورد وتفنيد ما أوقعته من إشكاليات أثارت البلبلة والتشكيك إلا أن الجهل بهذه الردود لدى البعض دفع بهم إلى هاوية الإلحاد.

في المقابل فقد تجددت أسباب ودوافع أخرى مع كل مرحلة تاريخية وفق ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية خاصة وهو الأمر الذي يحتاج إلى كثير من جهد العلماء والدعاة والباحثين في محاورة الفئات الواقعة تحت تأثير هذه الظروف والتي يمكن أن تودي بهم إلى هاوية الإلحاد.

ولعل استقراء الكثير من التجارب لمن أعلنوا إلحادهم تكشف عن أن فارقا كبيرا بين الدافع للإلحاد في السابق والإلحاد في الوقت الراهن فمبررات الإلحاد لم تعد فلسفية كما كان عليه الأمر بل ارتبطت بالكثير من إنكار بعض القيم الإسلامية بل وأحيانا السلوكية سواء كان الصحيح منها أو الخطأ أو الذي عبر عن اجتهاد لدى بعض الشخصيات الإسلامية معتبرين أن هذه الشخصيات حجة على الإسلام رغم أن المبدأ الإسلامي نفسه أن (الرجال يعرفون بالحق ولا يعرف الحق بالرجال).

ومن أبرز الأسباب وراء الإلحاد في العصر الحديث:

١- المحاولات الدائمة والمتكررة من قبل القوى الدولية والأنظمة العربية والإسلامية لشيطنة الإسلاميين.

٢- الدور الخبيث الذي تلعبه بعض المؤسسات البحثية ووسائل الإعلام لتشويه صورة الإسلام وإثارة الشبهات حوله.

٣- إلهاء المسلمين بالعديد من وسائل اللهو لإبعادهم عن دينهم والانصراف عن العلم والدعاة.

٤- تحطيم القدوات والتقليل من شأن الشخصيات الإسلامية والترويج إلى أن الفنانين والمغنين هم القدوة التي يجب أن تحتذى.

٥- تردي الأوضاع الاقتصادية والتباين الشاسع في المستويات المعيشية.

٦- تصدر بعض غير الفاهمين للدعوة بما يتسمون به من خطاب منفر وسطحي وغير قادر على الرد على الشبهات.

٧- طغيان المادية وتحكم الاقتصاد الرأسمالي.

٨- الهزيمة الحضارية للعالم الإسلامي في مقابل التجبر الغربي المسيحي.

من يعرقل المشروع السُنّي العراقي؟

١- حزب البعث العربي الاشتراكي

سمير الصالحي(*) – خاص بالراصد

بعد أن دبَّ اليأس بين أهل السنة في العراق عقب سرقة فوزهم في انتخابات سنة ٢٠١٠م[1]، برزت عدة محاولات فردية وجماعية لإنجاح فكرة

(*) كاتب عراقي.

(١) سبب اليأس أن القائمة العراقية (شبه السنية) فازت بأعلى الأصوات (٩١ صوتا)، لكن الاتفاق الأمريكي الإيراني بتثبيت نوري المالكي رئيسا للوزراء لدورة ثانية قضى على آمال السنة.

إيجاد تجمّع سني، وتنوعت المرتكزات المقترحة للفكرة؛فمرة على أساس إيجاد مرجعية سنية دينية،ومرة على أساس مرجعية سياسية، ومرة تحت عنوان إيجاد البيت السني.

ومضى أكثر من سنتين على هذه المحاولات ولم تتمخض عن شيء، ولا عن أي مكون لأهل السنة بسبب تباين الآراء، ولوجود أكثر من جهة تحاول الهيمنة على قيادة وريادة المشروع، وصدق اللّه العظيم حين قال: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ [الأنفال: ٤٦]. هذا من جهة المؤيدين، لكن كان مِن بينأهل السنة مَن يرفض هذه الفكرة، وأغلبهم من أصحاب الاتجاهات القومية والوطنية، والذينلم يكتفوا برفض الفكرة بل سعوا لإفشالها واتهام الذين تبنوها بالخيانة وتمزيق وحدة العراق.

ولما تبلورت فكرة المطالبة بالفيدرالية للمناطق والمحافظات السنية، وقف بوجهها العديد من أهل السنة، ورفضها بعض السياسيين الشيعة وعلى رأسهم المالكي بحُجّة وحدة الوطن.

لكن أهل السنة على أرض العراق حسموا أمرهم، ولم ييأسوا، فخرجوا في حراك سُني وانتفاضة سلمية غطّت المحافظات السنية الست[1]، ترفع مطالب أهل السُنّة،واستمرت لمدة سنة (من نهاية سنة ٢٠١٢ إلى أول سنة ٢٠١٤م)حتى أُنهيت باعتقال النائب الدكتور أحمد العلواني،معلنة بداية حرب أهل الأنبار مع الحكومة العراقية الشيعية (بزعامة المالكي) التي انتهت في ٢٠١٤/٦/١٠ يوم أن احتلت داعش محافظات:نينوى،وصلاح الدين، وجزءا من الأنبار.

في كل هذه المراحل كان أهل السنة يحاولون الخروج بباكورة لعمل سني يتمخض عن قيادة تجمع رأيهم وتعمل من أجل وحدة صفهّم وتوحيد كلمتهم أمام الهجمة الشيعية الإيرانية، لاسيما بعد خروج المحتل الأمريكي سنة ٢٠١١، وبروز الاحتلال الإيراني منفردا بالساحة العراقية.

الملاحظ أن سُنّة العراق منذ أيام الاحتلال لم يفيقوا من الضربات التي وجهت لهم، ولم يفهموا حقيقة الهجمة، إلا في وقت متأخر(بعد مضي سبع سنوات)، بينما كان أهل سوريا أسرع منهم في فهم اللعبة الإيرانية الشيعية، لأسباب منها: عمق الجذور القومية الوطنية في عقلية السني العراقي ووجود حزب البعث العربي وأفكاره، والبعد عن الدين. ومما زاد الطين بلة ظهور هيئة دينية سُنية بعد الاحتلال مباشرة، كان لأهل السنة بها ثقة - في أول الأمر- وكانوا يأملون أن تكون الممثل لأهل السنة، لكنها كانت مع الأسف تتماشى والفكر الشمولي القومي وأفكار حزب البعث. ومما عضدّ رأي هاتين الفئتين النهج والأداء السيء الذي مارسه الإخوان المسلمون (الحزب الإسلامي) في تمثيل الكيان السُني، وظهور مرتزقة السُنّة وتجار الحروب.

هذا المقال يحاول تسليط الضوء على دور حزب البعث في عرقلة المشروع السني، بينما سيكون المقال التالي عن دور هيئة علماء المسلمين في ذلك.

حزب البعث بعد الاحتلال ٢٠٠٣:

مُني حزب البعث بهزيمة قاسية بعد الاحتلال، فالأحزاب الشيعية مع المحتل الأمريكي كانت مصممة على إنهائهاإلى غير رجعة، فأصدر الحاكم الأمريكي بول بريمر قانون اجتثاث البعث، وسبب شدة العداء الشيعي لحزب البعث يعود لأمرين:

الأول: أن حزب البعث وجّه ضربات قاسية للأحزاب الشيعية الدينية وإيران في فترة السبعينات والثمانينات، فهي تحمل ثأرا تاريخيا معه.

الثاني:لكونها تصنفه حزبا سُنيًا.

(١) وهي الأنبار – صلاح الدين – نينوى – ديالى – كركوك – بغداد.

لذلك صممت هذه الأحزاب على إنهاء وجود حزب البعث، فتشرد أتباعه وأعضاؤه، وحوربوا في أرزاقهم، وبقي الحزب يحاول هنا وهناك ليجد له أرضية يعيد منها تكوين نفسه من جديد، وساعده كثير من السنة على ذلك؛ لأن أهل السنة شعروا بضياع القيادة وفقدان البلد من أيديهم لأول مرة بعد مرور ٨٠ عاما من تشكيل الدولة العراقية القطرية سنة ١٩٢١م، إذ أن السُنّة في كل البلاد العربية تعدّ الدولة الحاكمة هي مرجعيتهم، بغض النظر إن كانت الحكومة جيدة أم سيئة، ولذلك أصبح السنة بعد الاحتلال بغير قيادة، ويتخبطون هنا وهناك.

بعد الاحتلال غاب حزب البعث لسنين عن المشهد العراقي، وظهرت فيه انقسامات وأجنحة عدة[1] خارج العراق، وأصبح العديد من قياداته الشيعية داخل البلاد في خدمة حكومة المالكي.

حاول الحزب إعلاميا ترويج دوره في مقاومة المحتل وتضخيمه، لكنه كان على أرض الواقع لا يملك شئيا سوى أجنحة وهمية هنا وهناك،وعدد أفرادها لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة في ساحة المقاومة.

لكن عندما أقدمت إيران والشيعة على إعدام الرئيس العراقي صدام حسين نهاية سنة ٢٠٠٦، أدى ذلك إلى ظهور أول فريق مقاتل لحزب البعث وهو جيش الطريقة النقشبندية.

حاول الحزب أن يسير على نهجه الأول من الدعوة للوطنية وعدم التفريق بين السنة والشيعة، وأن الحرب الموجودة اليوم هي بين محتل، وبين مستغل للاحتلال وهم إيران ومن تبعها من الأحزاب الدينية الشيعية، وأن الشيعة يقاومون المحتل شأنهم شأن جميع أبناء البلد، لذلك حاول الحزب التقرب من التيار الصدري باعتباره تيارا شيعياً عراقياً عربيا وليس إيرانياً؛ لأن الفيصل في نظر القوميين هو الانتماء القومي وليس المذهب أو الدين.

واستطاع حزب البعث على تشتته أن يجمع بعض مجموعاته وأن يوجد حواضن لها في عدد من الدول العربية، مثل: الأردن، اليمن، سوريا، وبعض دول الخليج، وحاولت هذه الدول أن تستخدمه لصالحها. لكن الحزب بقي مطاردا غير فعّال، وفي كل الانتخابات العراقية يحاول الحزب أن يختار ممثلا قريبا من أفكاره ليدعمه دون الدخول المباشر فيها، من أمثال: صالح المطلك، إياد علاوي، وغيرهم، دون أن يعلن ذلك، وكان من أهم شعاراته عدم الاعتراف بالعملية السياسية بعد الاحتلال، ومهاجمة المشاركين بها، إلا أن عداءه الواضح كان ضد الحزب الإسلامي، لأن البعث حزب علماني يعادي الأحزاب الدينية.

بقي الحزب متمسكا بعدة مبادئ: رفض العملية السياسية، تأييد المقاومة للمحتل، رفض المحاصصة الطائفية، رفض الفيدرالية، وأن هذا الموجود كله باطل لأنه بني على باطل.

دوره في عرقلة المشروع السني:

كان الأداء السياسي أو بالأحرى فشل الحكومة العراقية الطائفية سبب العودة حزب البعث لدوره من جديد، وأصبح العديد من أهل السنة يدعوه الحنين ليعود العراق لأيام حكم الحزب.

فتحركات الحزب أصبحت أكثر عملية وواقعية، إذ شكل الحزب جبهة خلاص والتغيير من مجموعة من المقاومة التابعة له، وذلك وفق رؤيته القومية، التي ترفض مهاجمة الشيعة كطائفة لكنها تهاجم إيران كدولة شعوبية فارسية، وأما شيعة الحكم فيصنفهم حزب البعث بأنهم تابعون للمشروع الإيراني.

ولأن الظروف جعلت الحزب ضعيفاً مستضعفاً، فقد تعاون مع بقية مكونات المعارضة بشكل

---

(١) أصبح الحزب ثلاثة أجنحة كلها يخوّن الآخر: جناح عزة الدوري، وجناح يونس الأحمد (تابع لسوريا)، وجناح عبد الباقي السعدون (مقاوم).

ظاهري، لكنه بقي رافضا للاعتراف بالواقع الموجود، لأنه في الحقيقة حزب شمولي لا يؤمن إلا بفكره، أحادي النزعة لا يقبل التعاون الحقيقي مع الآخرين.

كما ذكرنا سابقا كانت المكونات السنية العربية (بعد سنة ٢٠١١م، وتكوين حكومة المالكي) تحاول أن تجد مخرجا لتفتتها، وتريد أن تجمع كل المكونات السنية في صف واحد، ولما كان حزب البعث مكونا لا يمكن إهماله أو الاستهانة به في المجتمع العربي السني، فقد دُعي للمشاركة ضمن المناقشات والمحادثات حول تشكيل مكون سني موحد، فكان حزب البعث يرسل أفراده للمشاركة في هذه الاجتماعات مدعيا أن هؤلاء يمثلون شخوصهم وذواتهم ولا يمثلون رأي الحزب، والواقع أن الحزب كان يريد أن يجعل له موطئ قدم في أي مشروع يكتب له القبول، فشارك في الحوارات التي جرت في ٢٠١٢ في الأردن وتركيا لتشكيل جبهة سنية، والذي لم يكتب لها النجاح، وكانت المشاركة الثانية له عند ظهور الحراك السني في المحافظات الست، وشكّل الحزب عدة توجهات داخل الحراك، محاولا أن يوجد له مكانا، مُستغلا أذرعته التي عادت للحياة، وأوجدت تمويلا ذاتيا وبعضه تمويل سري لا يعرف مصدره الحقيقي، مفسرا ما يحدث في العراق: أنه انتفاضة عراقية من الشمال والجنوب لظلم الحكم الطائفي الإيراني، رافضا التصريح باسم السنة، وأنها ثورة عامة للشعب العراقي، رغم أن الواقع يخالف ذلك، فالشيعة العرب راضون بهيمنتهم على الحكم وبالمكاسب التي حصلوا عليها بعد ٢٠٠٣، وأسعد منهم الكرد بإقليمهم، لكنها مغالطات الحزب في فهم الواقع. وهي من جنس قوله تعالى ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾ [النمل: ١٤].

بعد انتفاضة الأنبار واعتقال العلواني والصراع المسلح، دخل حزب البعث بتوجهات ومكونات وجهات عسكرية عدة بعضها حقيقي وبعضها فضائي إعلامي.

لكن الحزب أراد تطوير عمله وتكوين جبهة سياسية تقود الثورة والانتفاضة العراقية كما سماها ضد الحكم الطائفي الصفوي، ولأول مرة يفكر الحزب بالظهور بعدة واجهات سياسية وعسكرية مستغلا ضعف المقاومة بعد الانسحاب الأمريكي في ٢٠١١، لكن الحزب اصطدم بهيئة علماء المسلمين التي رفضت هيمنته مدّعية أن الثورة لا تحتاج إلى جناح سياسي، وفشل المشروع السياسي الذي خطط له الحزب. وكان هذا في بداية سنة ٢٠١٤م.

شعر الحزب - بحكم خبرته- بوجود فراغ سياسي كبير في الساحة العراقية المعارضة للحكم وهم السنة، وكثرت تحركاته، مستغلا الضربة التي وجهت للإخوان[1] في مصر، متوقعاً أن تتحالف الدول العربية المعادية للإخوان معه وربما تبرزه مرة أخرى وتصبح بحاجته كممثل للسنة العراقيين بديلا عن إخوان العراق[2].

أخذت الأمور تتطور مع حزب البعث بشكل أكثر عندما دعي رسميا للمشاركة في مؤتمر عمّان الذي دعت له قوى المعارضة العراقية لحكم المالكي في منتصف تموز ٢٠١٤، وكان المؤتمر ظاهرا يراد له أن يكون ممثلا للسنة، لكن حزب البعث رفض الإعلان عن سنيّته من أول لحظة وحدث خلاف حقيقي بينه وبين بعض المكونات والفصائل المشاركة، فقد كان الحزب رافضا لطرح الهوية السنية والحديث عن المحافظات السنية الست، بل تمسك بشعار حماية العراق عامة

(١) أصدر حزب البعث بيانا يبارك للسيسي فوزه في الانتخابات.

(٢) إذ أن الإخوان وحزب البعث هما الحزبان الوحيدان للسنة العرب اللذان يمتلكان تنظيما.

وتحريــره، وتغـــيير العمليـــة الـــسياسية برمّتهـــا، وشـــاركه في ذلـــك مجموعـــة الرمـــوز والعلمـــاء الـــصوفية، وهيئـــة علمـــاء المـــسلمين، وقـــد شـــارك الحــزب في هــذا الملتقــى بعــدد كــبير مــن الأعــضاء لكــون أكثــر كــوادره يقــيم في الخــارج والــذين شــاركوا تحــت عــدة واجهــات هــي في الحقيقــة أوجــه مختلفــة للحــزب، كوســيلة لكــسب عــدد أصــوات أكثر.

ولابــد مــن التنبيــه إلى قــضية مهمــة وهــي أن الحــزب (وبالتحديــد جنــاح عــزت الــدوري) ومنــذ التــسعينات تولــدت بينــه وبــين الــصوفية علاقــة وطيــدة، ومــن أشــهر هــؤلاء الــصوفية أولاد الــسعدي: الــدكتور عبــد الملــك، وعبــد الحكــيم وعبــد الــرزاق، وهــؤلاء مؤيــدون لحــزب البعــث في كــل شــيء، وجميــع هــؤلاء مقيمــون خــارج العراق،وبعــضهم غــادر العــراق مــع حــزب البعــث لقطــر والأردن، لــذلك كــان الحــزب يــصر علــى إظهــار هــؤلاء كواجهــة دينيــة سُــنية تتماشــى مــع أفكــاره، وكــان مــصرا علــى رمزيــة الــدكتور عبــد الملــك الــسعدي كرجل متميز وناطق باسم العراقيين.

حــاول العراقيــون الــسنة بعــد ملتقــى عمــان ترتيــب لقــاءات تجمــع ممــثلين أكثــر لأطيــاف المعارضــة الــسنية العراقيــة، ألا أن هيمنــة حــزب البعــث وهيئــة علمــاء المــسلمين الــتي تريــد الــسيطرة علــى الجميــع، أفــشلت ذلك بعدة وسائل منها:

- تكــثير واجهتهــا وافتعــال واجهــات وهميــة أو صغيرة وتكبيرها.
- التمــسك بالــدكتور عبــد الملــك الــسعدي كواجهة دينية ممثلة للجانب الديني(الصوفية).
- رفض الظهور السني للتجمع وجعله وطنيا.
- محاولة إشراك شخصيات شيعية.
- التنــسيق غــير المعلــن مــع هيئــة علمــاء المــسلمين لــرفض الفــصائل الــسنية المقاتلــة وأصــحاب التوجهــات الأخرى، التي لا تتبع لهم.
- رفــض مــشاركة الإخــوان المــسلمين حتــى ممّــن هــم خــارج الحكــم، باعتبــار أنهــم عمــلاء للحكم في العراق.
- محاولــة إيجــاد هيئــات ظاهريــة غــير حقيقيــة أو غير موجودة على أرض الواقع.

كــل هــذه المحــاولات كــان همّهــا الأول هــو الحــصول علــى التمويــل المرتقــب مــن بعــض الــدول الخليجيــة عنــد تــشكيل تمثيــل لأهــل الــسنة مــن أكثــر من جهة سياسية ومقاومة ودينية سنية.

كمــا حــاول الحــزب التقــرب إلى مكونــات شــتى مــن المقاومــة العراقيــة لكــسبها مــن خــلال الــدعم المــالي وغــيره، ومــع الأســف اســتطاع التعــاون مــع مجموعــة مــن المقاومــة كانــت في ســوريا وتميــل إلى التطــرف متواجــدة في تركيــا وشــكلت جبهــة إنقــاذ العــراق (جبهــة وطنيــة دينيــة) وتحولــت مــن مكــون إســلامي إلى مكــون وطــني يقــف ضــد الــدعوة إلى إنــشاء تجمــع ســني، كمــا يحــاول حــزب البعــث أن يــضخم تمثيلــه العــشائري كــذلك، ويتعــاون مــع مجموعــة مــن الــضباط الــسابقين الــذين شــكلوا مجلــسا عــسكريا لثــوار العــراق، والقيــادة العامــة للجــيش العراقــي، ويحــاول أن يكــسب هــؤلاء بــداعي الوطنية وأنه الأقدر تنظيمياً.

وهــو يهــدف مــن هــذا التنــوع إلى الإيحــاء للــدول العربيــة الراغبــة بخــلاص العــراق أن هــذا التجمــع للمعارضــة العراقيــة واســع الأطيــاف ومتنــوع المــشارب، وجــاهز للعمــل، لكــن حقيقــة الأمــر هــو هيمنــة حــزب البعث على كل هذه التوجهات.

لــذلك حــاول الحــزب محاربــة كــل التيــارات الــسنية الــسلفية مثــل الجــيش الإســلامي وغــيره مــن الفــصائل الــصغيرة؛ إمــا بــصورة مباشــرة أو بجعــل هيئــة علمــاء المسلمين في الواجهة.

خطر حزب البعث على أهل السُنّة في العراق:

تكمــن خطــوة حــزب البعــث اليــوم علــى العــراق وعلى المشروع السني في النقاط التالية:

❖ حــزب البعــث حــزب هــرم وشــاخ،وأعمار القيــادات والمنــتمين إليــه الآن في الــستينات، ولا يوجــد منــذ زمــن الاحــتلال أي وجــوه شــابةدخلت الحــزب،

وبعد انقراض هذا الجيل سيكون الحزب قد غادر التاريخ، لكنه مع الأسف يحمل اليوم أدوات القضية العراقية، وبعد سنين سيتركها لنهايته وسيُترك أهل السنة بلا قيادة، وعندها سيتكمن أعداء الأمة من الشيعة والصفويين والإيرانيين في جسد العراق والأمة وتصعب الحلول وتتعقد.

❖ أعضاء الحزب اليوم ليسوا جادين في خدمة العراق وقضيته، فقد مارست قيادات البعث دور المرتزق من الواجهات السياسية الحديثة لكسب الأموال بمباركة الحزب لهذا الفصيل أو تلك الجهة السياسية المشاركة في الحكم اليوم، رغم دعواه ببطلان العملية السياسية وبعضهم عمل مع شركات نقل البضائع الأمريكية والعتاد من شيوخ العشائر المحسوبين على عزة الدوري، وقد شعر المالكي بذلك، لذلك حاول شراء ذمم بعض القيادات البعثية السنية بوسطاء بعثيين شيعة.

❖ يستغل الحزب موجة محاربة جماعة الإخوان للتماهي مع الدول العربية بعلمانيته وإشعارهم بوجوده وأنه هو البديل للتيارات الإسلامية في العراق على أمل أن يعود إلى السلطة.

❖ بالتعاون مع هيئة علماء المسلمين يمارس الحزب دور المانع والرافض لظهور أي مكون سني بدعوى الطائفية، وتقسيم العراق. لذلك يمثل حزب البعث حجر عثرة بوجه المشروع السني.

❖ يمتلك الحزب فريقاً إعلامياً كثير العدد وقويا ببث أفكاره في مواقع التواصل الاجتماعي ويمني أهل العراق أن الأمور بالنضال المستمر ستعود لنصابها الأول(قبل الاحتلال).

❖ هناك توجيه فكري من الحزب لسنة العراق مستمر نحو العراقية والقومية بدعاوى وجود شخصيات شيعية وطنية.

❖ لا يمتلك البعثيون أي حل واقعي للقضية العراق سوى الثوريات وتخوين الآخرين، وأحلام العصافير.

❖ هناك صراع متبادل بين حزب البعث والحزب الإسلامي (الإخوان المسلمين) أضر بالقضية السنية.

❖ بعد أزمة اليمن ومصر غادر كثير من البعثيين إلى شمال العراق(كردستان) ورغم نداء الوطنية في الظاهر ودعوى أن الكرد لا يستحقون الإقليم ولابد من تحرير العراق أجمعه وأنهم ضد فكرة إقليم كردستان، إلا أنهم عاشوا بعلاقات جيدة مع حكومة كردستان، واستعملتهم الحكومة الكردية لتخويف الحكومة المركزية الشيعية[1].

وهذا يدل على أن القيم والمبادئ التي يناديها الحزب تبددت وأصبحت غير واقعية، بسبب الحاجة والمصلحة الحزبية، وليس هذا جديدا على حزب البعث ففي الأيام الأولى لدخول داعش الموصل أعلن الحزب عن دوره في تحرير الموصل، وأن عزة الدوري سيصلي في الموصل ويسير في شوارعها، فكان عاقبة هذا الأمر أن اختطفت داعش مجموعة من قياداته في العراق وطلبت منهم الاعتذار ودفع فدية مالية، وتم ذلك وخرج عزة الدوري مادحا داعش.

إن المشروع السني سيظل يواجَه من قبل الحزب بشدة ومحاولات إفشاله وتخريبه لن تتوقف، لأن الحزب هو الخاسر الأول بهذا المشروع.

لذلك على أهل السنة إبعاد حزب البعث ومَن على شاكلته من أمثال هيئة علماءالمسلمين من خياراتهم في التحرك، لأنهم يشكلون معوقا لها بدعوى تقسيم المجتمع، وسنسلط الضوء في المقال القادم بإذن اللهعلى دور هيئة علماء المسلمين في عرقلة المشروع السني.

---

(١) حتى أشيع أكثر من مرة أن عزة الدوري متواجد في كردستان.

ميكافيلية عملاء إيران

صباح الموسوي(*)

استعار القاموس السياسي العديد من المصطلحات الاقتصادية والتجارية ومنها مصطلحا «وكيل» و«عميل»، اللذان أصبحا يحملان دلالات سلبية، على عكس واقعهما في الاقتصاد والتجارة. ومن هنا تحولت هذه المصطلحات سهاما في القاموس السياسي يرمي بها المتخاصمون سياسيا بعضهم البعض.

وعلى الرغم من صفتهما السيئة في العمل السياسي، الا أن مكانتهما في العمل الاقتصادي والتجاري بقيت محافظة على نقائها ولم تخدش تسميتهما، وقد جاءت قباحة الصفة والاسم لهذين المصطلحين من ارتباطهما بالخيانة والتبعية للأجنبي في مجال العمل السياسيسواء من قبل الأنظمة أو الحركات أو الجماعات أو الأفراد.

فالعمالة بالمفهوم السياسي تعني خدمة الأجنبي على حساب مصلحة الأمة أو الدولة، كما هو الحال بالنسبة لمصطلح «وكيل» الذي يعني تحقيق مصالح الغير بالإنابة، على حساب مصلحة الجماعة. وقد شاع في القرن الماضي استخدام هذين المصطلحين في الأدبيات السياسية لاسيما أثناء الحرب الباردة بين القطبين: الرأسمالية والاشتراكية، اللذين تمثلا بأمريكا وأوروبا من جهة، والاتحاد السوفيتي من جهة أخرى، وذلك لقيامهما فعليا باستخدام وكلاء وعملاء محليين يحرصون على خدمة كلٍمنهما، سواء على الصعيد السياسي أو الاستخباراتي أو الاقتصادي.

ورغم سقوط الاتحاد السوفيتي ومعه الكتلة الشيوعية وانتهاء حقبة الحرب الباردة وتحول الكثير من الدول التي كانت أنظمتها تقوم بادوار وظيفية لصالح أحد القطبين، الا إن ذلك لم ينهِ وجود الوكلاء والعملاء في العمل السياسي، حيث أصبح هذا الأمر جزءا من طبيعة العلاقة السياسية بين أنظمة الدول الكبرى وبعض الدول الصغرى، وبين الدول الغنية وبعض أنظمة الدول الفقيرة، وبين الأنظمة الاستبدادية والشمولية والدول الحامية لها.

والحال ينطبق أيضا على بعض الحركات والجماعات السياسية في الدول التي تُحكم من قبل أنظمة شمولية استبدادية وتسعى للخلاص من هذه الأنظمة فالكثير منها يُدعم ويُمول من قبل دول متنافسة على النفوذ السياسي والمصالح الاقتصادية في هذه المنطقة أو تلك، فمن هنا ليس مستغربا قيام الجمهورية الإيرانية التي تحمل مشروعا توسعيا باستخدام وكلاء وعملاء في المنطقة لتحقيق أهداف مشروعها، بغضّ النظر عن هويتهم أو عقيدتهم، فالمهم بالنسبة لها أن يكون هناك جماعات أو أفراد لديهم الاستعداد لقبول هذه الوظائف، وهذا ما هو حاصل بالفعل، فنجد أن ايران ورغم اختلافها من الناحية القومية والدينية مع محيطها العربي والإسلامي إلا أنها استطاعت أن تجند الكثير من الجماعات والتنظيمات والأفراد، حتى من الذين يختلفون معها قوميا أو عقائديا.

إن أسلوب إيران في تجنيد وكلاء وعملاء يقومون على تحقيق مشروعها اعتمد على ثلاث أدوات: العقيدة، الإغراءات المالية، الخطب والشعارات العاطفية. وقد استطاعت بهذه الطريقة تجنيد أعداد هائلة من الوكلاء والعملاء تعمل بمسميات وعناوين مختلفة، متفوقة بذلك على

(*) كاتب أحوازي.

الكثير من الدول الغربية التي لها باع طويل في هذا المجال.

وفي هذه الحال فان اللوم لا يقع على إيران وحدها بقدر ما يقع على الذين قبلوا بدورهم الوظيفي لصالح إيران، وهؤلاء يرفضون وصفهم بالوكلاء أو العملاء وذلك لإيمانهم بالنظرية الميكافيلية «الغاية تبرر الوسيلة». ولكن هل هذا التبرير الميكافيلي ينفي عن هذه الجماعات صفة الوكلاء والعملاء سيئة السمعة والفعل؟

إن الوقائع والمشاهد اليومية التي تقوم بها هذه الجماعات والحركات، والتي بلغ بها الأمر حد مقاتلة بني جلدتها وتدمير بلدانها لحساب إيران، تثبت بما لا يدع مجالا للشك أنها جميعا (وبغض النظر عما تحمله من مسميات وعناوين وصفات) تخضع لتصنيف «الوكلاء والعملاء» بكل ما تحمله هذه المصطلحات من وصف ومعنى سيئين.

الأزهر... حصان طروادة الإيراني لاختراق القاهرة

المعتز بالله محمد(*) - خاص بالراصد

تثير مشاركة وفد إيراني برئاسة أحمد المبلغي، رئيس جامعة المذاهب الإسلامية الإيرانية، في مؤتمر الأزهر لمواجهة التطرف والإرهاب الذي عقد مطلع شهر ديسمبر بالقاهرة كممثل رسمي عن إيران الكثير من التساؤلات حول أبعاد التقارب المصري الإيراني، في ظل المتغيرات الإقليمية والدولية التي تعصف بالمنطقة، وما يمكن أن يعكسه هذا التقارب على التمدد الشيعي في مصر، إضافة إلى الدور الذي تلعبه مؤسسة الأزهر في هذا الصدد.

عهد السيسي

في الحقيقة لم يكن هذا التقارب وليد الصدفة أو تزايدت وتيرته بعد ظهور وتمدد تنظيم ما يسمى بالدولة الإسلامية، والذي تشارك إيران بقواتها في محاربته بالعراق وسوريا، بل يمكن التأريخ له بوصول الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي للسلطة منتصف ٢٠١٤، والذي دعا الرئيس الإيراني حسن روحاني لحضور حفل تنصيبه، وبعث الأخير بمساعد وزير خارجيته للشئون العربية والأفريقية أمير حسين عبد اللهيان لحضور الحفل.

صحيح أن الرئيس السابق محمد مرسي زار إيران خلال فترة حكمه التي لم تزد عن العام، إلا أن جماعة الإخوان المسلمين ظل يُنظر إليها من قبل إيران والشيعة بوجه عام على أنها تمثل تهديدا استراتيجيا للمشروع الشيعي في المنطقة.

سياسات جديدة

السيسي - وبعكس مرسي- تبنى حزمة سياسات نظرت إليها إيران بعين الرضا، كإعلان تأييده النظام الشيعي الطائفي في العراق، وهو ما جاء على لسان وزير الخارجية سامح شكري الذي قال إن «مصر أكدت أنها على استعداد لتوفير كل الدعم للحكومة العراقية (لقتال داعش)وهناك بالفعل مساعدات قدمت» وذلك دون أن يتطرق لعمليات التهجير والقتل على الهوية التي تقوم بها الميليشيات الشيعية في العراق، أو التلميح من قريب أو بعيد إلى التدخل العسكري الإيراني في العراق.

(*) كاتب مصري.

وكذلك لعب موقف النظام المصري الجديد من الثورة السورية وبشار الأسد دورا هاما في طمأنة الإيرانيين، فبعكس مرسي الذي قطع العلاقات الدبلوماسية مع نظام الأسد، أعاد السيسي تلك العلاقات بشكل هادئ لا يسمح أيضا بإثارة غضب السعودية التي تعد أكبر الداعمين لنظامه من الناحية الاقتصادية.

ففي ١٤ سبتمبر ٢٠١٤ شارك النظام السوري بوفد من أربعة أعضاء لأول مرة منذ قرار تجميد عضوية بلاده بالجامعة العربية، في مؤتمر، حمل اسم «المؤتمر العربي الثاني للحد من مخاطر الكوارث» والذي انطلق في مدينة شرم الشيخ المصرية.

وعمد النظام الجديد في مصر إلى تقييد حركة المعارضة السورية في القاهرة، وطرد لاجئين سوريين، بل إن الجيش المصري سمح بعد شهرين تقريبا على الانقلاب الذي أطاح بمرسي وجماعته بخروج مظاهرة مؤيدة لنظام الأسد في ميدان التحرير وسط مدينة القاهرة، والذي كان ولا يزال مغلقا أمام المتظاهرين المصريين المناوئين للنظام العسكري.

متغير آخر لعب دورا هاما في التقريب بين طهران والقاهرة وهو تقارب مصر مع روسيا أحد أقوى وأهم حلفاء إيران في العالم، وذلك في ظل الفتور الذي ساد العلاقات المصرية الأمريكية فيما بعد الانقلاب العسكري، حيث وقّعت مصر صفقة ضخمة لشراء أسلحة روسية، كانت المفارقة أنها بأموال سعودية. كذلك تزايدت مجالات التعاون بين البلدين، في مختلف المجالات الصناعية والتكنولوجية والسياحية، إضافة لمجال الطاقة.

الفرصة مواتية

كل هذا كان مقدمة لحدوث تقارب جارف بين مصر وإيران التي اتخذت من مؤسسة الأزهر على ما يبدو حصان طروادة لدخول القاهرة، وهو ما يتجلى في قصائد الغزل التي كتبها مسئولون إيرانيون في الأزهر، والتعويل عليه لترسيخ «التعايش السلمي» بين المذاهب الإسلامية، و«نبذ الفكر المتشدد والتكفيري».

نعود لمؤتمر الأزهر، والذي حظي خلاله أحمد المبلغي رئيس وفد إيران بحفاوة بالغة من قبل شيخ الأزهر أحمد الطيب، إضافة لاهتمام إعلامي مصري كبير، دفع المبلغي لرد الجميل بالقول «إن مؤتمر الأزهر لمواجهة التطرف والإرهاب وضع القاهرة في مركز الاهتمام» وهنا بالطبع يقصد الاهتمام الإيراني.

وما إن عاد المبلغي لبلاده حتى أخبر مسئوليه هناك بأن الأجواء باتت مواتية أكثر من أي وقت مضى للتقارب مع مصر، حيث التقى مؤخرا المرجع الإيراني آية الله مكارم الشيرازي، وأطلعه على تفاصيل ما جرى في القاهرة، وفي نهاية اللقاء خلص الشيرازي إلى استنتاج عبّر عنه في تصريحات قال فيها «أصبحت الفرصة متوفرة لتقارب العلاقات بين مصر وإيران». مضيفا «لابد أن نغتنم الفرص المتوفرة للتقريب بين الدول الإسلامية رغم محاولات الأعداء ومواقف بعض المجموعات المتطرفة».

الأزهر في قُم

لكن لم تكن مشاركة الوفد الإيراني في مؤتمر الأزهر سوى تتويجا لمراحل سابقة، جرى خلالها ترسيم ملامح مرحلة التوغل الشيعي الإيراني في مصر عبر الأزهر، الذي اعترف المبلغي خلال زيارته للقاهرة بارتباطه بعلاقات صداقة مع شخصيات ذات ثقل بداخله.

ولعل كشف وكالة أنباء الحوزة الشيعية الرسمية في إيران النقاب عن زيارة قام بها وفد من علماء الأزهر، برئاسة الشيخ أحمد محمود كريمة للحوزة الشيعية في قم، في سبتمبر الماضي، يمثل

فقط القليل مما يتم الكشف عنه في هذا الصدد.

كريمة الذي تفقد المؤسسات الإعلامية والدينية في قم، وأثنى على جهود الحوزة وتطور المؤسسات الإعلامية التابعة لها، طالب رئاسة الحوزة أن تقوم بنقل تجاربها ونشاطاتها إلى الدول العربية والإسلامية، وليس فقط داخل حدود إيران.

وقدم الشيخ الأزهري - بحسب الوكالة الإيرانية - مشروعا للتعاون والعمل المشترك بين الحوزة الشيعية الإيرانية وجامعة الأزهر، وذلك في مجالات كثيرة، إضافة إلى اقتراح إقامة المؤتمرات المشتركة لمواجهة ما سماه بالتطرف الإسلامي.

وكان كريمة، أستاذ الفقه المقارن في جامعة الأزهر، قد أكد في تصريحات صحفية أدلى بها في أكتوبر الماضي أن الأزهر يقر بالتنوع المذهبي المعتمد في العالم الإسلامي، بما فيه المذاهب الشيعيّة؛ ولديه علاقات بالمؤسّسات الشيعية الزيدية في اليمن، والشيعية الإمامية الجعفرية سواء كان في لبنان أم في العراق أم في إيران.

وكشف عن لقاءات جمعت بين مفتي الديار المصرية ووكيل الأزهر الشريف بمرجعيات شيعية إيرانية بارزة في لبنان، وسبقها زيارات لطهران من علماء الأزهر وقرّاء القرآن الكريم وأساتذة جامعات، إضافة إلى الوفود الإعلاميّة.

الشيعة والبرلمان

كل هذه التطورات شجعت شيعة مصر على محاولة استغلال فرصة تقارب بلادهم مع إيران لتحقيق مكاسب سياسية، عبر اختراق البرلمان المرتقب. وكشف تقرير صادر عن أحد أجهزة المعلومات في مصر عن تمويل إيران الحملات الانتخابية لعدد من عناصرها المنتمين للمذهب الشيعي في مصر والذي يقدر عدد أتباعه بين ٢٠٠ إلى ٤٠٠ ألف شيعي بحسب بعض التقديرات.

التقرير قال إن إيران أغدقت الأموال على هؤلاء المرشحين منذ الإطاحة بالرئيس محمد مرسي لبناء قاعدة شعبية في محيط دوائرهم الانتخابية، تعتمد على تقديم المساعدات العينية للفقراء والمبالغ المالية الشهرية لأسر بأكملها، استعدادا للانتخابات البرلمانية القادمة. وذكر أسماء عدد من هؤلاء المرشحين من بينهم اثنان من رموز الشيعة في مصر هما الدكتور أحمد راسم النفيس، الأستاذ بجامعة المنصورة، وطاهر الهاشمي المتحدث الرسمي باسم الشيعة عن حزب «التحرير» الشيعي.

لكن «الصحوة» الشيعية لم تقف عند هذا الحد في مصر، فموقف الأزهر المشجع لكل ما هو شيعي دفع بعدد من قادة الشيعة إلى السعي للتواصل مع شيخ الأزهر لإحياء «عملية التقارب بين المذاهب» التي قادها الأزهر في الخمسينيات من القرن الماضي، وقال محمد الدريني رئيس تجمع آل البيت إن الشيعة يمثلون أعداء تقليديين لأفكار التكفير وإن ما يجمعهم بالأزهر أكثر مما يفرّقهم.

صلاح الدين الفارس المجاهد، والملك الزاهد المفترى عليه

عرض: أسامة شحادة(*)– خاص بالراصد

هذا الكتاب القيّم في موضوعه ومادته هو من تأليف المؤرخ الكبير الأستاذ شاكر مصطفى، وقد صدرت طبعته الأولى عام ١٩٩٧م، وبين يدي الطبعة الثالثة التي صدرت عن دار القلم الدمشقية، سنة ٢٠١٤م، في ٤٢٤ صفحة من القطع الكبير.

ولهذا الكتاب قصة، من المهم معرفتها، وقد أوردها د. محمد مؤنس عوض في كتابه «صلاح الدين الأيوبي بين التاريخ والأسطورة»، فقال في صفحة ٣٠: «وفي عام ١٩٩٥م فوجئ المؤرخون العرب بدراسة أعدها المؤرخ اللبناني حسن الأمين بعنوان «صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والفاطميين والصليبيين»، كما نشر مقالة في مجلة العربي الكويتية واسعة الانتشار عدد ٤٤٢ بعنوان «صلاح الدين الأيوبي نظرة مختلفة».

وفي الكتاب وكذلك المقالة نجد مؤرخاً يهاجم السلطان صلاح الدين الأيوبي على نحو لم يحدث منذ ما زاد على ثمانية قرون؛ ولا مراء في أن الهجوم كان هجوماً مندفعاً لا يتسم بالموضوعية لم نجده لدى أي مؤرخ عربي، بل وأوربي، حيث اتهمه بالخيانة وذكر أنه يستوجب القتل!!! والدراسة المذكورة أكاديمية الظاهر غير موضوعية في الباطن، وتحقق أهدافاً لا تخفى على أحد، وفيها اعتساف الأحكام، والفكرة المسبقة المفروضة فرضاً على

(*) كاتب أردني.

الآخرين وكأن صاحبها له مع صلاح الدين ثأر شخصي بلا مبرر منطقي!!! وقد افتقد الكتاب القدرة على إقناع القارئ المتخصص الخبير خاصة أن المؤلف غير متخصص في عصر الحروب الصليبية.

ومن الطريف أن أكبر مؤرخ صليبي وهو وليم الصوري امتدح أحياناً صلاح الدين الأيوبي وكذلك كافة كُتاب مادة صلاح الدين في جميع دوائر المعارف في العالم أجمع بلا استثناء وهم من المسيحيين، واليهود، ونجد مؤرخاً مسلماً عربياً يتخذ ذلك الموقف الذي سيحسب على العرب والمسلمين بطبيعة الحال.

ومع ذلك، فإن فائدة الكتاب المذكور أنه أيقظ الباحثين لإعادة الاهتمام بالسلطان الأيوبي المجاهد البارز فظهرت مؤلفات لتحقق هذا الهدف.

ولم يتأخر الرد طويلاً على حسن الأمين؛ إذ أصدر المؤرخ السوري الراحل الكبير شاكر مصطفى في بيروت عام ١٩٩٧م، أي بعد عامين فقط، دراسة بعنوان: «صلاح الدين الفارس المجاهد، والملك الزاهد المفترى عليه»، وقد أهداه إلى كل من وصمهم المفتري على صلاح الدين:

- إلى أبي شامة، الذي وصفه بـ (البذيء)!!
- إلى ابن كثير الذي وصفه بـ (السفيه)!!
- إلى محمد كرد علي الذي وصفه بـ (صاحب الأباطيل)!!
- وإلى مجموعة المؤرخين الزملاء الذين رماهم بالجهل المطبق والسفاهة، والتحامل، والاجترار، والعمى، والكذب على الحق، وتزييف التاريخ، وبكعوب الأحذية!!
- وأخيراً إلى صلاح الدين نفسه، والذي وصفه بالخداع والاستسلام للصليبيين والتآمر معهم، وبأنه يستحق القتل!!

(حرصت على إيراد مثل تلك السطور في المتن حتى يتضح للقارئ طبيعة العبارات التي استعملت من جانب مؤلف «صلاح الدين بين العباسيين والفاطميين والصليبيين»!!!).

والكتاب رد مفحم على المؤلف سالف الذكر، وتمكن مؤلفه من هدم أساس فكرة د. حسن الأمين باقتدار مؤرخ خبير.

ومع ذلك فإن من المآخذ التي تؤخذ على الكتاب عدم اعتماد مؤلفه على مصادر صليبية أو مراجع أجنبية، ولا يقلل هذا من الجهد المبذول في الكتاب الذي تمكن من خلاله مؤلفه من تحقيق هدفه باقتدار أستاذ خبير». أ.هـ

إذاً هذا الكتاب المهم هو رد على افتراءات حسن الأمين، نجل المرجع الشيعي اللبناني محسن الأمين، الذي أكمل موسوعة والده (أعيان الشيعة) من حرف السين حتى الياء ثم استدرك عليها ١٠ أجزاء! ثم ألّف موسوعة دائرة المعارف الشيعية في ٢٦ مجلدا، فنحن أمام شخص يفترض فيه المعرفة والاطلاع، ولكن كتابه عن صلاح الدين كان غير موضوعي، فهل هذا بسبب نقص المعرفة والاطلاع، أم بسبب البعد العقائدي الشيعي المعادي لصلاح الدين، هادم خلافة الفاطميين الشيعة، أم بسبب الهوى وقلة الدين اللذين كان يتصف بهما؟

بغضّ النظر عن الجواب الصحيح عن دافع الأمين للافتراء على صلاح الدين، إلا أن هذه الافتراءات حفزّت مؤرخنا الكبير لإبطال الافتراءات بالمنطق والمعرفة والمعلومة الصحيحة، وذلك حين استعرض خلفيات الوضع السياسي في العالم آنذاك، ثم استعرض مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين، وكيف تطور من التداعي للجهاد بشكل فردي من الأمراء بداية، ثم مزج الجهاد بالدعوة للوحدة بين الأمراء على يد عماد الدين زنكي وولده نور الدين زنكي، ثم الانتقال بعد

تحقيق الوحدة والجهاد إلى تحرير بيت المقدس على يد صلاح الدين.

ثم استعرض شخصية صلاح الدين والتغيرات التي طرأت عليها، والمراحل التي مر بها صلاح الدين، فترة التأسيس، المرحلة المصرية، المرحلة الشامية.

والكتاب يكشف عن جوانب غير مشهورة من جهود صلاح الدين، فصلاح الدين اشتهر بمعركة حطين وتحرير بيت المقدس، لكن هدم الخلافة الفاطمية كان حجر الأساس في تحرير بيت المقدس، وقد استغرق جهدا وزمنا كبيرين في تغيير قناعات الناس والقضاء على الجهاز الدعائي للفاطميين، والقضاء على عدة ثورات فاطمية مضادة ضده، ولعل عدم إدراك نور الدين لعظم صعوبة هدم خلافة الفاطميين كان وراء تذمره من بطء صلاح الدين في دعم الجهاد الشامي ضد الصليبيين.

ثم بيّن جهود صلاح الدين في لملمة شعث الشام بعد وفاة نور الدين، وهو ما يؤكد مركزية وصعوبة توحيد الجبهة الداخلية والتي لا تتم إلا بنشر العلم الصحيح بين الجماهير فتتحد أفكارهم وأمانيهم، ومداراة الوجهاء والكبراء، والصبر عليهم وعدم استعجال الصدام وسفك الدماء مع الأهل والجيران.

ثم فصل وشرح جوانب دهاء وذكاء صلاح الدين في مناورة الصليبيين بالسياسة والقتال حتى قضى عليهم في حطين، ثم شرع في بناء بيت المقدس على أسس الحق والعدل، والتي كان يتمثل فيها عظمة ورحمة الشريعة الإسلامية، برغم أنه في موقع القوة من جهة، ويمكن له من جهة أخرى من الثأر من الأعداء الذين ولغوا في دماء المسلمين ظلماً وعدواناً حتى سارت خيولهم في سيول من دماء ألوف المسلمين.

وقد أفرد فصولا خاصة لجيش صلاح الدين، وعلاقته بالخلافة العباسية، ومالية صلاح الدين، والعمران الصلاحي، مما يشكل صورة متكاملة لجهاد صلاح الدين، ويفكك حالة الوعي الزائف عن الكثيرين بجهاد صلاح الدين، والخروج من دائرة الشعارات المجدة لصلاح الدين، لدائرة التعلم واكتساب الخبرة من جهاد صلاح الدين.

ومما يتميز به الكتاب أنه كان يتعامل مع صلاح الدين على أنه بشر يصيب ويخطئ، وليس قائداً أسطورياً لا أخطاء له أو نقائص، بل عرض بعض أخطائه وهزائمه والدروس المستفادة من ذلك.

ختاماً لعل تجربة صلاح الدين تشابه واقعنا من جوانب عديدة، فالأمة تواجه عدوانا خارجيا صليبيا /إسرائيليا وله دعم دائم من الخارج، وفي نفس الوقت هناك عدوان شيعي داخلي فاطمي / إيراني يعرقل الجهاد ضد العدو الخارجي، وتسود المسلمين حالة من الجهل بالدين والبعد عن التزام أحكامه بين الناس، وتفرق وتشرذم وصراع على مستوى الأمراء والسلاطين.

في هذا الوضع والبيئة تحرك صلاح الدين كامتداد لجهود الكثير من العلماء والأمراء على امتداد ١٠٠ عام، فاستفاد من كل الجهود السابقة ولم يفرط بأي مكسب تحقق ولو من خصومه، وتجنب الصدام الداخلي ما أمكن ذلك، وكان واعياً أن المرتكز الحقيقي في الجهاد والتحرير نشر العلم الشرعي والعدل بين الرعية وعمران البلاد ثم يأتي الإتقان في القتال.

ولا تزال سيرة صلاح الدين غير مفعلة في وعي أبنائها الساعين للنهضة وفيها من الدروس والعبر والفوائد الكثيرة التي تنتظر من يكشف عنها، ليختصر الزمن ويوفر الجهود ويتجنب المزالق.

رمتني بدائها وانسلت!

قالوا: طالبت المعارضة البحرينية (الشيعية) الأردن بسحب قوات الدرك الخاصة به، معتبرة أن موقف الأردن في بلادهم لا يقوده إلا «المال والطائفية».

الخليج الجديد ٢٠١٤/١٢/١٩

هندوسة المسلمين!!

(١)

قالوا: شهدت الهند الأسبوع الماضي حالة من الحالات المتكررة، فقد تم رصد حوالي ٥٠ عائلة من المسلمين الفقراء وقد تم جمعهم في حفل في مدينة أجرا شمالي الهند في حي فقير لجامعي القمامة، وقام النشطاء الهندوسيون بإقناعهم بأنهم سوف يتسلمون في هذا الحفل كروت هوية حكومية تثبت أنهم تحت خط الفقر؛ مما سيجعل لهم الحق في الحصول على المساعدات الحكومية التي يأخذها الفقراء كنوع من أنواع الدعم خصوصًا في قطاعي الصحة والتعليم.

لكنهم وبعد أن ذهبوا لحضور ذلك الحفل المثير للجدل قام كاهن هندوسي وطلب منهم ترديد عبارات ورمي بعض القرابين في النار المقدسة أمام الأصنام الهندوسية، ثم قام نفس الكاهن بعدها بالترحيب بالعائلات المسلمة في الحظيرة الهندوسية؛ مما جعل العائلات المسلمة في حالة من الذهول التام والتي جعلتهم غير مدركين لما تم وكيفية خروجهم من الدين عن طريق تلك الحيلة الماكرة.

وقد خلقت تلك الحادثة ومثيلاتها في السنوات السابقة حالة واسعة من الضجة في وسائل الإعلام الهندية حتى وصلت إلى البرلمان الهندي الذي تناقش أعضاؤه حول دور رئيس الوزراء «نارينـدرا مودي» وحزبه «بهاراتياجاناتا» الحاكم ودور ذلك الحزب الهندوسي القومي في دعم الجماعات التي تقوم بتلك الحفلات المثيرة لتحويل الهنود إلى الهوية والديانة الهندوسية عن طريق الحيل واستغلال سذاجتهم وفقرهم.

مفكرة الإسلام ٢٠١٤/١٢/١٧

(٢)

قالوا: كشفت تقارير صحافية غربية، عن اتساع دائرة تحويل المسيحيين والمسلمين إلى الهندوسية في الهند، سواء عن طريق الضغط المباشر، أو تحت ضغط الظروف الاقتصادية.

أشار تقرير نشره موقع «فاتيكان إنسايدر» إلى أن عملية تحويل المسيحي إلى الهندوسية في الهند تبلغ كلفتها ٢٥٠٠ روبية، فيما يصل المبلغ إلى ٦٥٠٠ إذا كان الشخص المستهدف مسلمًا، وتحاول الحكومة الهندية وقف هذه الممارسات، عن طريق سن قوانين وتشريعات تمنع التحول الديني، ولكن هذا القانون لم يتم تطبيقه إلا في ٥ ولايات فقط من بين ٢٩ ولاية هندية.

وتعالت أصوات هندوسية بطرد المسلمين والمسيحيين من البلاد قبل عام ٢٠٢١، ويتم استثناء من يتحولون إلى الهندوسية من ذلك، وفقًا لما جاء على لسان زعامات سياسية ودينية في الهند، حيث تسعى هذه الجماعات إلى جعل الهند «هندوسية حصرًا» من أجل استعادة ما أطلقوا عليه مجد الهندوسية، وذلك وفقًا لتقرير نشرته صحيفة «دايلي مايل» البريطانية.

إيلاف ٢٠١٤/١٢/١٩

الفهم متأخراً مشكلتنا المتكررة!

قالوا: ضاعت على العرب السنّة فرصة ذهبية خلال عام ٢٠١٣ عندما التقت على مدى عام كامل قلوب

الملايين وعقولهم وانخرطوا في نسق فريد في إطار الحراك الشعبي، وكم كان ممكناً وقد آلمها المصاب واستجابت للنداء وأخذت بالعزيمة أن تنخرط هذه الملايين بسهولة ويسر في إطار تنظيم جامع، لكن الفرصة تلاشت ومعها مناشداتي المتكررة التي أضاعها تشدد البعض وقصور نظره على رغم أن المصيبة كبيرة ومصابها أكبر، وكان المفروض أن ذلك وحده يدفع الناس إلى التجمع والانتظام على قاعدة أن المصائب يجمعن المصابينا.

اعترض البعض ولأسباب شكلية وليست جوهرية! والحجة في ذلك هي الحذر من أن يتلون المشروع العربي السنّي بلون الطائفية وما قد ينسحب ذلك سلباً على وحدة العراق. مخاوف ليست في محلها إطلاقاً، ليس فقط لأن هذه الدعوة لا تستهدف أحداً بالأذى بل لأن الاستقطاب المذهبي والعرقي قائم وبات حقيقة ماثلة حتى لو لم ينتظم العرب السنّة، حيث البيت الشيعي منظم، وكذلك البيت الكردي، وليس الآن ولكن منذ زمن بعيد.

لهذا يبدو أن الرفض هو لغرض الرفض والجهات الرافضة أو المتحفظة لا تعرض البديل، وكأنها بخلاف منطق الأمور وغياب النظرة العقلانية لإدارة الأزمة تفضل بقاء الحال الفوضوي المؤلم كما هو عليه، وهو موقف يتسم بالغرابة واللامسؤولية.

طارق الهاشمي – الخليج الجديد ٢٠١٤/١٢/١٩

يعرفون من أين تؤكل الكتف

قالوا: مرجعية شيعية إيرانية شهيرة، قالت إن الشيعة يمثلون أقلية عددية، ولكنهم يعتبرون «أغلبية استراتيجية».. تعبير «جميل» يلخص الأوزان النسبية للقوى الحقيقية على الأرض.

يقول المصريون تهكمًا على الأعداد التي لا لزوم لها: «العدد في الليمون»!! وفي الموروث النبوي الشريف «كثير كغثاء السيل»، فالمسألة ليست في العدد ولكن في القدرة على التأثير وصنع الواقع والخرائط على الأرض.

إسرائيل لا تتعدى - بحسب آخر تقرير - ٨ ملايين، ربعهم من العرب، ومع ذلك تفرض إرادتها وتفوقها على أكثر من ٤٠٠ مليون عربي، وذلك بحسب إحصائية ٢٠١٢.الولايات المتحدة الأمريكية تعدادها ٣١٦ مليونا - بحسب إحصائية ٢٠١٣ - ومع ذلك تحكم العالم كله.

ولذا فإن السيطرة والتفوق لا يتحقق بغطرسة وعنجهية الجماهيرية والتعداد السكاني الكبير.. فهذا كله في «الهجايص».

الشيعة شطار في هذه المسألة، ونجحوا في تحويل مفهوم الأقلية، إذ لم تعد الأخيرة مرهونة بالعدد ولكن بالتأثير، حتى لو كانوا عن طريق تأسيس «لوبيات» وجماعات ضغط، لها حضورها في أية حسابات محلية أو إقليمية أو دولية.

محمود سلطان – المصريون ٢٠١٤/١٢/١٥

تبخرت المقاومة لليهود

قالوا: تناقلت الصحف الإسرائيلية اليوم السبت خبر تدشين أول نصب تذكاري لضحايا اليهود في إيران، حيث شارك في حفل التدشين رئيس الطائفة اليهودية في إيران وعدد من القيادات اليهودية الدينية في طهران، أبرزهم نائب اليهود في البرلمان الإيراني «سيامك مره صدق».

وقالت صحيفة «جيروزاليم بوست» الإسرائيلية، إن طهران تقدم بهذا النصب أكبر دليل على رغبتها في توثيق العلاقات مع إسرائيل، على الرغم من التقارير التي تظهر مدى العداوة والتوتر في العلاقات بينها وإسرائيل.من جانبها نقلت صحيفة صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية الخبر مع أكثر من ١٠ صور.

واحتفت إيران بضحاياها من اليهود الذين قتلوا في الحرب العراقية الإيرانية عبر بناء نصب تذكاري لهم.

ونشرت الوكالة الإيرانية للأنباء «إيرنا»، صور حفل التدشين الذي شارك فيه مساعد رئيس الجمهورية لشؤون الأقليات والطوائف علي يونسي، والنائب الأول لرئيس مجلس الشورى الإيراني محمد حسن أبو ترابي.

وأقيم النصب في مقبرة اليهود بطهران التي دفن فيها قتلى المعارك وظهر رجال الدين اليهود ومعهم بعض الإيرانيين وهم يضعون إكليلا من الزهور على قبر القتلى، وكتب على النصب التذكاري كلمات عبرية وهي «شالوم عولام» التي تعني: السلام للعالم.

الغد العربي – ٢٠١٤/١٢/٢٠



"القرآنيون" منكرو السنة ينضمون إلى حملات الهجوم على الإخوان والإسلام السياسي في مصر

محمد خالد - الخليج الجديد ٢٠١٤/١٢/١٧

«القرآنيون هم الموحدون في هذا الزمان ولقد علمو الشهادة الحق..اللهم أكثر منهم لأننا نريد تشريع الكتاب فقط فأنت ولي المؤمنين»، بهذه العبارة وصف أحد أتباع من يسمون أنفسهم بـ«القرآنيين» أو «أهل القرآن» على صفحتهم على فيس بوك ما يؤمنون به، والذي يتلخص في عدم إيمانهم بالسنة النبوية المطهرة.

وبعد فترة صمت من قبل زعيم القرآنيين «د.أحمد صبحي منصور»، الذي طرده الأزهر الشريف ويعيش في الولايات المتحدة منذ ثمانينات القرن الماضي، بعدما أثار جدلا بأفكاره الغريبة، عاد بقوة ليظهر في الفضائيات والصحف المصرية وحتى في قناة الحياة التبشيرية المسيحية -تختلف عن شبكة قنوات الحياة الترفيهية- ، ليقول أن «الإسلام دين علماني وأن السلفيين عاهات سياسية».

«منصور» شارك أيضا في حملة الهجوم على «الإسلام السياسي» في إطار موجة «الثورات المضادة» على الربيع العربي التي يشكو مراقبون من تحول العداء خلالها إعلاميا وثقافيا من عداء للإخوان والسلفيين والتيارات الإسلامية إلى هجمة على مفاهيم الدين وطقوسه وتعاليمه، حسبما تجسد في عشرات الوقائع التي انتشرت مؤخرا.

من هم «القرآنيون»؟ «القرآنيون» هم مجموعة أفراد يتزعمهم الدكتور «أحمد صبحي منصور» وهو مدرس سابق مفصول من الأزهر ومقيم حاليا بالولايات المتحدة الأمريكية، وتقوم مبادؤهم على رفض الاستدلال بأية أحاديث نبوية أو قدسية، أي إنكار السنة، ويصفون أنفسهم بأنهم ضمن فئات الإصلاح الديني، ولهم مركز ينشر أنشطتهم يسمي «مركز القرآنيين العالمي»، وقد بدأ نشاطهم في مصر، ثم تمدد لدول أخري.

ويؤكد «صبحي منصور» في حوار صحفي منشور على موقعه أن القرآنيين ليسوا جماعة أو فئة أو طائفة يمكن أن تسجلهم أو أن تجمعهم في مؤتمر أو أن تضمهم في تنظيم وأنهم فقط «منهج عقلي في فهم الإسلام»، ويشدد علي: «إننا اتجاه فكرى عقلي منهجي في فهم الإسلام، ويريد الإصلاح السلمي للمسلمين من داخل الإسلام بعد أن ثبت فشل القائمين على المؤسسات الدينية الرسمية في القيام بالإصلاح، بل ثبت أنهم سبب التخلف واتهام الإسلام بالتطرف و الإرهاب و التخلف».

أما منهج القرآنيين فيلخصه «صبحي منصور» بقوله ردا علي تخبط فتاوي العلماء فيما

يخص السنة: « ليست هذه (سنة)..هذه أكاذيب نسبوها للنبي محمد عليه السلام بعد موته بقرنين وأكثر من الزمان » على حد قوله.

ويزعم موقع «صبحي منصور» أن تيار القرآنيين ينتشر في العديد من الدول وله أنصار كثيرون، وللتدليل على هذا يستضيف الموقع نحو ١٠٠ شخصية من مختلف الدول من مصر، وأفغانستان، والأردن وفلسطين وسوريا والعراق إلى جانب مجموعة كبيرة من المصريين المقيمين في الداخل والخارج وأشهرهم «سعد الدين إبراهيم» والكاتب «على سالم» والكاتب «سيد القمني» و«كمال غبريال».

ويؤكد «منصور» نفسه أنه من الصعب إعطاء تقدير لعدد القرآنيين، ثم يعود للقول – في حوار صحفي أخر ينشره أيضا على موقعه – أنهم أكثر من عشرة آلاف مثقف في العالم كله، ولهم مواقع عديدة في فضاء الانترنت.

ومع الوقت تحول «القرآنيون» إلي ما يشبه «تيار ثقافي» يزعم الإصلاح الديني ولكنه يطعن في الإسلام ضمنا، وأكد هذا ضمنا «منصور» بقوله في حوار مع جريدة «فيتو» المصرية مارس الماضي: «الذي يعبر عن القرآنيين الآن هم عشرات الألوف من المثقفين في العالم كله، والذي يعبر عنهم كتيار فكرى هو تأثيرهم الفكري والديني الذي أحدثوه خلال ربع قرن مضى، حيث بسببهم انتهت (قدسية البخارى، وأئمة الحديث والفقه)، وتجرأ الكثيرون على نقد الخرافات التي كانت مقدسة ومُحرّم نقاشها».

ويري مؤرخون أن طائفة القرآنيين ظهرت منذ السبعينات في باكستان ثم بدأت في الانتشار بترويج فكرة الاستناد إلى القرآن فقط مستغلين أن أهل السنة يعتمدون على جمع الأحاديث من أهل البيت والصحابة في حين أن الشيعة يرفضون الأحاديث الواردة عن الصحابة.

هجوم علي الإخوان والسلفيين

وضمن موجة الهجوم علي الإخوان والسلفيين التي شاركت فيها تيارات وقوي سياسية عديدة منذ أحداث ٣٠ يونيو ٢٠١٣ في مصر، بدأت صحف وفضائيات تفتح الباب لمؤيدي القرآنيين مرة أخري ضمن محاولة «تجييش» الفرق المختلفة للمشاركة في الحملة ضد جماعة الإخوان وأغلب فصائل الإسلام السياسي.

وظهر «منصور» في حوارات صحفية وفضائية وشن هجمات حادة على الشيخ «القرضاوى» باعتباره «صنم وهابي يجب تحطيمه»، ويقدم ما أسماه «رؤية لإستراتيجية القرآنيين بعد رحيل حكم الإخوان، والدور المتوقع لهم في مصر ما بعد الإخوان»، دون أن ينسي الطعن في وسطية الأزهر باعتبارها «شائعة»، ويؤكد أن القرآنيين يعملون للإصلاح الفكري فقط، كما يطعن في حكم الرئيس السابق «مبارك» الذي طاردت أجهزة الأمن في عهده أنصاره وألقت القبض علي بعضهم، والرئيس المعزول «محمد مرسي» باعتبار أنه من أعداء «الإصلاح الديني».

بل أن «منصور» قال أن القرآنيين قد شاركوا في ثورتي ٢٥ يناير و٣٠ يونيو على حد وصفه، وأرجع سقوط مبارك لهجوم القرآنيين على نظامه في مقالاتهم، دون أن ينسي أن يعلن تأييده لنظام«السيسي» ودعوته للفصل بين الدين والعمل السياسي كما يطالبون هم، وبالمقابل بدأ يطرح مطالبهم ، مقابل المشاركة في الحملة ضد السلفيين والإخوان، والمتعلقة بإلقاء القضايا الجنائية المرفوعة عليهم وإلغاء «قانون ازدراء الأديان»، وأن يسمح لهم أن يكتبوا في البطاقة الشخصية كلمة «قرآني» بدلا من «مسلم».

يشارك «منصور» ورفاقه باقي القوي السياسية الحاكمة حاليا بعد انقلاب ٣ يوليو في رفض وجود حزب سياسي للسلفيين (حزب النور) حيث «منصور» بحسب حواراته مع صحف مصرية، «أن

تكوين السلفيين أحزابا ودخولهم الحياة السياسية زاد من تأثير وسرعة نشر أفكارهم، وهذا خطأ يجب علاجه بالمنع التام والحازم من استغلال الدين والمساجد في العمل السياسي وفي الدعوة السياسية».

ويصف التيار الإسلامي عامة بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، بأنهم «عاهات ثقافية ودينية وسياسية»، ويرفض أن يوصفوا كـ«إسلاميين» باعتبار انتمائهم إلى الإسلام، ويطالب باطلاق ما وصفها بمسمياتهم الأصلية عليهم «سنيين، وهابيين، سلفيين» وليسوا «إسلاميين» لأنهم يتناقضون مع الإسلام في تاريخهم وشريعتهم، وفقاً لقوله.

وهاجم بشدة المجلس العسكري لأنه سمح بصعود الإخوان لحكم مصر، وأشاد بالانقلاب عليهم، وإنهاء حكم الرئيس السابق «مرسي»، مؤكدا أنه كتب في مقالات على موقع الجماعة يشير «لحاجة إلى الجيش للتخلص من الإخوان»، وأكد أن «مصر تحتاج الآن إلى قيادة حازمة ضد خطر الأصولية الذي يهدد الدولة المصرية».

وفي حلقة تليفزيونية مسجلة له في قناة «الحياة» المسيحية ، قال «صبحي منصور» زعيم القرآنيين: «أن الإسلام الذي نعرفه اليوم كله محرف مشوه وليس هو الإسلام الحقيقي»، و«أن كل صحابة الرسول عن بكرة أبيهم خانوه وخرجوا على تعاليمه وسعوا وراء الدنيا وملذاتها»

بل وزعم «صبحي منصور» أن «المسجد الأقصى ليس في القدس ولكنه في طور أو عند طور سيناء»، وقال: «هذا الدين الذي اخترعوه قد تعشش وتغلل في أفكار واعتقاد المسلمين عبر العصور لأسباب كثيرة وأنتج هذا الفكر الداعشي الإرهابي» على حد وصفه.

اليمنيون وسؤال: ماذا بعد؟

نبيل البكيري - العربي الجديد ٢٠١٤/١٢/١٨

ربما لم يمر اليمنيون، على مدى خمسين عاماً مضت، بلحظة ضبابية وعبثية كالتي يعيشونها اليوم، منذ إسقاط عاصمتهم في ٢١ سبتمبر/أيلول الماضي، بيد جماعة الحوثي وحلفائها. وهي فترة ربما بدت كافية تماماً لمعظم اليمنيين، لتكوين صورة كاملة عن نوعية تلك السلطة «الكهنوتية» التي يُراد أن تحكمهم بها الجماعة المذكورة. والحوثية ليست فكرة جديدة على اليمنيين، إلا ربما من حيث اسمها، فهي امتداد تاريخي ومذهبي وسياسي للفكرة الزيدية الهادوية التي ثار ضدها اليمنيون، فأنجزوا أعظم ثوراتهم في ٢٦ سبتمبر/أيلول ١٩٦٢.

فعلى مدى ما يقارب الشهرين من فرض جماعة الحوثي سيطرتها على العاصمة وبعض المحافظات الأخرى، مستغلةً الفراغ السياسي الحاصل، نتيجة خيانات كبيرة في المؤسستين، الأمنية والعسكرية، وغض طرف المجتمع الدولي عمّا يجري في اليمن، باعتباره جزءاً من تداعيات المشهد الإقليمي، بعد الربيع العربي.

فخلال هذه الفترة القصيرة جداً، بانت نيات هذه الجماعة، وتوجهاتها الطائفية المؤدلجة مذهبياً، في سعيها الحثيث إلى ابتلاع الدولة في اليمن، بمحاولة دمج مليشياتها المسلحة في مؤسسات الجيش، وبأعداد كبيرة، تصل إلى نحو عشرة آلاف مسلح، في أقل تقدير، فيما هناك أعداد لم يتم الإعلان عنها.

التدخل المباشر في كل صغيرة وكبيرة من شؤون الوزارات والمؤسسات الحكومية، مدنية وعسكرية، حيث بادرت الجماعة إلى فرض أشخاص في مكتب كل وزير، وكل مسؤولي الإدارات والمؤسسات الحكومية الأخرى، تحت عنوان مكافحة الفساد الذي تعمل على محاربته، بفرض أفرادها للإشراف على أداء هذه الأجهزة، من دون أي اعتبار قانوني لمثل هذا الإجراء، ويفرضون مبالغ طائلة على هذه المؤسسات بحجة حمايتها.

على سبيل المثال، حاولوا في الحديدة أن يفرضوا على محافظها تمويل نفقات ما يقارب ٣٨٢٠ مسلحاً من مليشياتهم هناك، وهو ما رفضه المحافظ، فعملوا بعدها على عزله وتعيين مقرب منهم بدلاً عنه، بعد أن عينوا قبل ذلك محافظاً لمحافظة عمران، ضاربين بكل الاعتبارات القانونية والسيادية لمثل هذا الإجراء المليشيوي، عرض الحائط.

في جانب آخر، سعوا إلى فرض واقع جديد، حتى على مستوى السيطرة على المساجد، وإقصاء كل من يخالفهم، وفرضوا خطباء وأئمة موالين لهم. وفي سعيهم الحثيث إلى فرض أجندتهم الطائفية المكشوفة، سعوا إلى تغيير إجازة السبت إلى الخميس، وهي مقدمة لا شك لتغيير حتى مناهج الدراسة، وصبغها بصبغتهم المذهبية الضيقة.

بعد نقضهم ما سموه اتفاق السلم والشراكة الذي وقع عشية سقوط صنعاء، وتمدد مليشياتهم، استمروا في نقض أي اتفاق وُقّع سابقاً مع خصومهم، كما حدث في مديرية أرحب شمال العاصمة، حيث دخلوها بقوة السلاح، بعد انسحاب القبائل على ضوء اتفاق لوقف الحرب، وسعيهم في تفجير المساجد ودور القرآن وتفجير منازل خصومهم، وهو سلوك دائم وثابت لدى هذه الجماعة تاريخياً، عدا عن عدم التزامها بأي اتفاق يبرم، وهو جزء من اعتقاد مذهبي لديها، حيث لا تعدّ الاتفاقات سوى جزء من المناورة السياسية لضرب العدو.

ما يهمنا، كمراقبين للمشهد، أن ثمة توجهاً إلى حكم كهنوتي استبدادي مذهبي واضح، يُراد إعادة اليمن واليمنيين إلى سطوته وسيطرته بالقوة والإكراه، وبدأت ملامحه بالبروز. وهذا متوقع وليس غريباً، بالنظر إلى الخلفية التاريخية والأيدولوجية لجماعة الحوثي، وسبق أن حذرت دراسات وأبحاث ومقالات لكاتب هذه السطور من مثل هكذا مصير.

وأعتقد أن ما قاله الدكتور عبد الكريم الإرياني، مستشار رئيس الجمهورية، وأشهر سياسيي اليمن طوال عقود، وبعده ما قاله رئيس الكتلة البرلمانية لحزب التجمع اليمني للإصلاح، زيد الشامي، لم يكن سوى تحصيل حاصل لما هو على الأرض. الجديد فيما قالاه أنه أول توصيف جريء لحقيقة هذه الجماعة، وحقيقة ما جرى لصنعاء، في سبتمبر/أيلول، بوصفه انقلاباً مسلحاً، وإن قاله الإرياني بلفظ آخر، وهو أنه وضع شاذ بكل ما تعنيه الكلمة من معنى. وهناك اعتذار زيد الشامي عن جهود قام بها للتواصل مع جماعة الحوثي، من أجل السلام، وقوله إنها جماعة لا تمتلك قرارها، وفي هذه دلالة كافية على أي مستقبل ينتظر اليمن، دولةً وشعباً.

بعد هذا كله، وبعد الصورة التي غدت عليها السلطة المختطفة في صنعاء، التي يقبع رئيسها عبدربه منصور هادي، في وضع أشبه بالإقامة الجبرية، في ظل تعاظم سيطرة المليشيات على المشهد اليمني، وإدارتها له بطريقة مليشيوية مريعة، ماذا تبقّى لليمن من مسمى دولة ذات سيادة؟ وماذا تبقّى للعملية السياسية من هامش للمناورة والأمل؟

أعتقد أنه لم يبقَ من ذلك كله شيء. المتبقي

هـو إرادة دوليـة، تورطـت في المـشهد الـيمني بطريقـة أو بـأخرى، وربمـا لم تحـسب نتـائج مثـل ذلـك التـورط. وبالتـــالي، تحـــاول أن تخفـــي تورطهـــا بتـــصريحات يطلقونهـا هنـا أو هنـاك، مـن دون أن يكـون لهـا أي تـأثير علـى المـشهد الـراهن الـذي يمـضي، بخطـوات متـسارعة، نحـو الانهيـار الوشـيك للـيمن، اقتـصادياً وسياسياً وأمنياً، وسلطةً أيضاً.

الـسؤال، الآن، الـذي نحتـاج الإجابـة عليـه مـن الجميـــع في الـــداخل والخـــارج، هـــو: إلى أي مـــدى يمكـــن اسـتمرار مثـل هـذا الوضـع المـتردي؟ وكيـف يمكـــن تفـــادي ســـيناريو مرعـــب كـهـذا؟ ومـا هـــي الخيـارات المتاحـة أمـام اليمنـيين، لتفـادي هـذه النهايـة الكارثيـــة الـــتي لـــن يكـــون بمنـــأى عـــن تـــداعياتها الجميع إقليمياً ودولياً؟

أعتقـد، كباحـث ومراقـب، ويمـنـي أولاً، أن سـؤال: مـاذا بعـد؟ موجـه لليمنـيين أنفـسهم، وعلـيهم الإجابـة عليـه، وفي مقـدمتهم جماعـة الحـوثي الـتي تقـف، اليـوم، أمـام مـسؤولية تاريخيـة ووطنيـة، وهـي المـسؤول المباشـر عـن مـصير البلـد، بحكـم سـلطة الأمر الواقع الذي فرضته على الجميع.

تـضيق كـل الخيـارات أمـام الجميـع، في ظـل تعنّـت جماعـة الحـوثي، ونقـضها كـل الاتفاقـات الـتي وقّعتهـا، وإصـرارها علـى فـرض واقـع خـاص بأجنـداتها المذهبيـة، متخطيـةً ومتحديـةً، أيـضاً، إرادة اليمنـيين الـتي يخطـئ مـن يظـن أنـه يمكـن تجاوزهـا، مهمـا بلـغ مـن القـوة والتنكيـل بالخـصوم والمعارضـين، وتـاريخ اليمن مليء بالشواهد والتجارب.

فمـا يحـدث اليـوم في البيـضاء ورداع ومـأرب لـيس سـوى مؤشـر واضـح علـى مـدى رفـض كـل اليمنـيين سـلطة الميلـشيات المذهبيـة، ومؤشـر علـى إمكانيـة تفجّـر المـشهد حربـاً طاحنـة، حتـى في عمـق مـا يتخيـل لهـذه الجماعـة أنهـا منـاطق إرثهـا التـاريخي. ومـن هنـا، أعتقـد أن سـؤال: مـاذا بعـد؟ سـيفتح المجـال واسـعاً أمـام أسـوأ الخيـارات وأمرِّهـا علـى الجميـع، وهـو خيـار لا يـزال متاحـاً، اليـوم، إمكانيـة اسـتبعاده، في حـال مـا يمتلـك الجميـع، هنـا، شـجاعةً كافيـة لقـول لا، ويتـداعون جمـيعهم إلى الخـروج مـن هـذه الـدائرة الـضيقة الـتي سـتودي بـاليمن واليمنـيين والمنطقة كلها إلى الجحيم.

تدبيس الأزهر في قضية إرهاب!

محمود سلطان - المصريون

تـنظم حاليًّـا أسـوأ حملـة علـى الأزهـر، لم يحـدث مثلـها، لا في العهـد الملكـي ولا في عهـود عبـد الناصر والسادات ومبارك.

الحملـة.. كأنهـا تـدار بـالتليفون لكـل مقـدمي بـرامج الــ«توكـشو».. مـا يـشير إلى وجـود خطـة ممنهجـة، يقودهـا عقـل جنرالـي مـن خلـف المكاتـب السرية.

وتـدور الحملـة علـى جبهـتين: الأولى لتـصفية تيـار العقلانيـة ممـثلاً في د.محمـدعمارة.. والثانيـة تحـت لافتـة «تنقيـة» مناهـج الأزهـر، مـن المـواد المؤسـسة لـ«التطرف الديني»، بحسب زعمهم!

المفارقـة - هنـا - أنـه في حـين رفـض الأزهـر تكفـير «داعـش»، بوصـفه مؤسـسة تـرفض تكفـير «المبتدعـة» مـن أهـل القبلـة عمومًـا.. نجـد كـل «تيـار الحداثـة» ينـتفض ضـد قـرار الأزهـر، ويتحـول هـو مـن تيـار يناضـل ضـد الفكـر الـتكفيري.. إلى تيـار يـدعو إلى «التكفير» العلني!

بعـض الحمـلات تعتمـد علـى «نـصوص» تـزعم أنهـا مـن المناهـج المقـررة علـى طلبـة الثانويـة الأزهريـة، تعلـم المـسلمين «أكـل لحـوم البـشر».. و«قتـل الطفـل» ومـا شـابه مـن نـصوص تعتـبر مفزعـة فعـلاً.. وتعتـبر كـذلك - بحـسب فحواهـا المزعومـة - مرجعية أساسية لـ«الفقه الداعشي» إذا جاز التعبير.

نلاحظ هنا أن الحملة على الأزهر، تأتي بالتزامن مع توافق فكري غربي وعربي، يحمل الديكتاتوريات العربية الفاسدة والاضطهاد والتعذيب والتهميش والإقصاء الذي تمارسه.. مسؤولية تنامي واتساع ظاهرة التطرف الديني والإرهاب والجماعات المسلحة.

وبمعنى آخر.. فإن الحملة على الأزهر التي يقودها «الأمنجية» المعروفين على الفضائيات، لا يمكن أن نفصلها عن هذا التوافق بشأن مسؤولية الطغاة العرب وأنظمة الحكم القمعية والفاسدة في إنتاج التطرف والإرهاب الدموي والوحشي.

ولعل ذلك ما يطرح سؤال الأزهر.. بمعنى: هل مناهج الأخير فعلاً هي التي تؤسس للغلو والتطرف والإرهاب المسلح؟!

الإجابة على هذا السؤال يمكن أن تكون مفتاحًا لفهم مغزى ودلالة الحملة.. لأنه لم يثبت منذ ظهور ما يسمى بجماعات الإسلام السياسي في السبعينيات وما قبلها وما بعدها، أن تورط أزهري واحد في أي حادث إرهابي.. ناهيك عن أن أبا بكر البغدادي نفسه، ليس خريج أزهر وإنما حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة بغداد.. كما أن أسامة بن لادن وأيمن الظواهري لم يتلقيا تعليمهما الديني في الأزهر.. فالأول حاصل على بكالوريوس اقتصاد وإدارة أعمال من جامعة الملك عبد العزيز، تولى إدارة شركة بن لادن المملوكة لوالده.. أما الثاني أيمن الظواهري فهو طبيب جراح خريج كلية الطب.. ومعظم أعضاء الجماعات الإسلامية من خريجي الكليات المدنية وليست الدينية.

المسألة - هنا إذن - لا علاقة لها بالمناهج، وإنما بـ«تدبيس» الأزهر في قضية إرهاب، لتهريب «الجناة» الحقيقيين وتركهم يلعبون براحتهم في إنتاج الدواعش وأخواتها.

التطهير المذهبي داخل حزام بغداد

نيد باركر وأحمد رشيد - وكالة رويترز ٢٠١٤/١٢/١٨

يتوالى قصف الميليشيات الشيعية وقوات الأمن العراقية التي تخوض حربا مصيرية مع تنظيم الدولة الإسلامية السني المتشدد للأراضي الزراعية في المناطق السنية حول بغداد بالأسلحة الثقيلة، ويصف ضباط عسكريون المناطق المستهدفة في الحزام الريفي بمناطق القتل.

قال العقيد حيدر محمد حاتم نائب قائد القوات العسكرية المنتشرة حول أبو غريب الواقعة غربي العاصمة مباشرة «في هذه المناطق لا يوجد مدنيون. كل من يوجد في مناطق القتل هذه نعتبره من الدولة الإسلامية».

وتنتشر مناطق القتل على امتداد ما يعرف بحزام بغداد على مدى ٢٠٠ كيلومتر. ومنذ يناير كانون الثاني هجر نحو ٨٣ ألفا من السكان غالبيتهم العظمى من السنة بيوتهم في المنطقة الريفية حول العاصمة وفقا لتقديرات لجنة الانقاذ الدولية وهي إحدى الجماعات العاملة في مجال الإغاثة.ومن المحتمل أن يكون الرقم أعلى لكن من المستحيل تأكيده بسبب هشاشة الوضع الأمني.

وحول هذا النزوح الاراضي الزراعية التي عاش فيها الشيعة والسنة فيما مضى جنبا إلى جنب إلى أرض حرام تسيطر عليها الميليشيات التي تدعمها الحكومة والجيش الذي يهيمن عليه الشيعة.

وسعى رئيس الوزراء حيدر العبادي الشيعي المعتدل الذي تولى منصبه في سبتمبر ايلول إلى الحد من العنف الذي كان منتشرا في عهد سلفه نوري المالكي. وكان من أوائل قرارات العبادي حظر اطلاق النار العشوائي على مقاتلي الدولة الإسلامية في المناطق التي يوجد فيها مدنيون.

لكن أغلب المواطنين العاديين من السنة فروا من المناطق الريفية في حزام بغداد إما إلى العاصمة أو مدن كبرى أخرى وتركوا رجال الجيش والميليشيات يدكون المناطق التي يعتبرونها معاقل للجهاديين.

وإحدى مناطق القتل هذه منطقة جرف الصخر السنية التي تم إخلاؤها في أواخر أكتوبر تشرين الاول. وحينها كان المدنيون قد فروا بعد شهور من الاشتباكات والقصف بقذائف المورتر والقصف الجوي.وقد منع الجيش الآن سكان المنطقة الواقعة قرب معقل الدولة الإسلامية في محافظة الأنبار الغربية من العودة إليها.

وشاهد مراسل لرويترز رجال ميليشيا شيعية وهم يشعلون النار في بيوت خلال الهجوم الذي شنوه في أكتوبر تشرين الاول. وراح بعض مقاتلي الميليشيا يركلون ثلاثة من المشتبه في انتمائهم للدولة الإسلامية ويضربونهم ثم أعدموهم بإطلاق الرصاص على رؤوسهم.

وستساهم المعركة على حزام بغداد في تحديد مستقبل العراق وتحديد ما إذا كان التقسيم سيصبح مآله في نهاية الأمر.

وإذا فاز تنظيم الدولة الإسلامية بالسيطرة على الحزام سيصبح باستطاعته شن هجوم على العاصمة ومحاولة إسقاط الحكومة. وقد نفذ التنظيم بالفعل تفجيرات في بغداد والمناطق الشيعية إلى الجنوب وقصف بالمورتر تجمعات سكنية شيعية ونصب كمائن لجنود الجيش ومقاتلي الميليشيات. كما عمد إلى قتل السنة المعتدلين ممن يرفضون التنظيم أو طردهم من المنطقة.

أما إذا انتصرت الميليشيات الشيعية وقوات الأمن فإن الأساليب التي استخدمتها تمثل مجازفة بتطهير المنطقة حول بغداد ومناطق من محافظة ديالى وهي منطقة مختلطة إلى الشرق من العاصمة من السنة على نحو يكتسب صفة الدوام. وسيخلق ذلك منطقة يصبح الشيعة فيها الأغلبية في مناطق سنية أصلا.

وتقول شخصيات قيادية من العشائر الشيعية والسنية وكذلك مسؤولون أمنيون عراقيون إن الميليشيات قررت تخليص المناطق الخلفية المحيطة بالعاصمة من الأغلبية السنية التي كانت تسكنها إلى الأبد.

وقال مسؤول رفيع بوزارة الدفاع العراقية «الميليشيات ... تحاول تغيير الطبيعة السكانية. فهي تقوم بأعمال انتقامية وأصبحت خارج نطاق السيطرة. لم يعد في مقدور الجيش كبح جماحها».

ويدافع نواب في البرلمان ومسؤولون حكوميون عن الأساليب التي تلجأ إليها الميليشيات. ويقول البعض إن نزوح آلاف السنة شر لابد منه.

وقال حنين القدو نائب رئيس اللجنة المختصة بشؤون النازحين في البرلمان العراقي وعضو الكتلة السياسية التي ينتمي إليها رئيس الوزراء العبادي «ليس من الممكن السماح لكل هذه الأسر بالعودة إلى بيوتها حتى إذا تم إخراج الدولة الإسلامية وتوقفت الاشتباكات... لماذا؟ لأن أغلب هذه الأسر في حزام بغداد كانت توفر ملاذا آمنا للدولة الإسلامية».

ونشرت الحكومة الميليشيات لتأمين المداخل الرئيسية للعاصمة وحماية الطرق والنقاط الساخنة حول الحزام. وفي منطقة الطارمية الزراعية السنية إلى الشمال من العاصمة وغير بعيد عن عدد من المدن الشيعية دمرت الميليشيات والدولة الإسلامية البيوت.

وقد أقام الجيش سواتر ترابية حول القرى لمحاولة الايقاع بمقاتلي الدولة الإسلامية الذين يحسبون أن المنطقة معقل حصين.

وفي الاسبوع الماضي وبعد هجوم انتحاري على المقر الأمني هجرت ٢٥٠ عائلة على الأقل بيوتها بعد أن نشب قتال بين الدولة الإسلامية من ناحية والجيش والميليشيات من ناحية أخرى وفقا لما قاله زعيم العشيرة.وقال شيخ العشيرة الذي فر من مزرعته إلى وسط الطارمية في يوليو تموز الماضي متحدثا مع رويترز «أنا قاعد في البيت أدعو الله أن يعيننا».

واختفى مئات من السكان السنة في الأشهر الأخيرة واكتنف الغموض مصائرهم. وتعتقد قيادات شيعية وسنية أن كثيرين منهم اعتقلوا أو ربما قتلتهم الميليشيات في حين أعدم تنظيم الدولة الإسلامية آخرين. وتشكو القيادات من عدم محاسبة أحد عن اختفاء هؤلاء.

وأكد عدد من مقاتلي الميليشيات الذين أجرت رويترز مقابلات معهم أن الميليشيات الشيعية نفذت عمليات خطف وقتل وسرقة.

وفي مناسبتين مختلفتين الأولى في يوليو تموز والثانية في أكتوبر تشرين الاول تم الكشف عن مقابر جماعية تضم جثث عشرات القتلى شمالي محافظة بابل التي تعتبر جسرا يربط بين بغداد وقلب المراكز الشيعية في الجنوب.

وفي الاكتشاف الذي تحقق في أكتوبر تشرين الاول عثر على ٣٥ جثة في خزان للصرف الصحي بقاعدة تابعة للجيش العراقي بجوار قضاء المحاويل. واتهمت قيادات عشائرية من الشيعة والسنة الميليشيات بارتكاب عمليات القتل.وقال مسؤول بوزارة الدفاع لرويترز إن تحقيقا يجري حول هذا الاكتشاف.

وفي ١٥ ديسمبر كانون الأول عثر على جثة رئيس بلدية مدينة خان بني سعد السنية الواقعة إلى الشمال الشرقي من بغداد وقد امتلأت بطلقات الرصاص بعد أن خطفه رجال يرتدون زي الجيش من طريق رئيسي.

كما أثر العنف على إنتاج الغذاء. وقال جميل ابراهيم المسؤول بوزارة الزراعة «أكثر من ٧٥ في المئة من المناطق الزراعية أصبحت غير مستغلة بعد أن أصبحت مناطق حرب. وأصبحت المزارع في تلك المناطق مزارع أشباح».

❖ «تدمير كامل»

في حي الدورة الذي يغلب عليه السنة في جنوب غرب بغداد وقبل عدة أسابيع جلس مشتاق الشمري عضو المجلس المحلي في مكتب مزدحم يقع خلف لفة من الأسلاك الشائكة يرحب بعشرات الأسر التي وصلت إلى بغداد وكانت تريد تحصيل التعويضات التي قررت الحكومة تقديمها للنازحين وتبلغ مليون دينار (٨٦٦ دولارا).

وقال الشمري «العوائل محصورة بين نارين الدولة الإسلامية التي تطلب البيعة من ناحية وقوات الأمن والميليشيات من ناحية أخرى. وإذا شعروا بالأمان والأمن سيعودون إلى بيوتهم. وإذا ظلت الميليشيات وقوات الأمن مسيطرة على الوضع فلن يعودوا».

أبو حسين مزارع سني عمره ٤٥ عاما من قرية قراغول الواقعة على مسافة ٣٢ كيلومترا جنوبي بغداد. كان يعيش في هذه القرية أكثر من ألف أسرة في بيوت تنتشر بين أشجار النخيل على امتداد نهر الفرات.أما الآن فقد أصبحت القرية مهجورة وأصبح أبو حسين يعيش في بيت تتكدس فيه الأشياء في الدورة.وقال أبو حسين إن الشبان يخافون مغادرة المكان لان قوات الأمن قد تعتقلهم وتتهمهم بالارهاب.

بدأ انزلاق قراغول نحو الخطر في الشتاء الماضي عندما تفجرت الحرب بين رئيس الوزراء الشيعي السابق نوري المالكي والعشائر السنية في الأنبار.

وعندما صعد تنظيم الدولة الإسلامية نشاطه في حزام بغداد استدعى المالكي الميليشيات الشيعية في خطوة تؤكد أنها أكثر فاعلية من الجيش.وفي

أعقـاب ذلـك بـدأت العـائلات الـسنية تتحـدث عـن اغتيالات على أيدي الميليشيات.

وفي يونيـو حزيـران الماضـي انهـار الجـيش العراقـي في شمـال الـبلاد واسـتولى تنظـيم الدولـة الإسـلامية علـى مـساحات كـبيرة مـن الارض علـى امتـداد نهـر الفـرات بمـا فيهـا قراغـول. وبـدأ الجـيش والميليـشيات قـصف القريـة بقـذائف المـورتر والمدفعيـة والبراميـل المتفجرة.

وقـرر أهـل القريـة الرحيـل عنهـا في أواخـر يوليـو تمـوز في نهايـة شـهر رمـضان. وقـال أبـو حـسين إن القـصف كـان عنيفـا في ذلـك الوقـت. وجـرح رجـل بـشظية إحـدى القـذائف وظـل ينـزف حتـى فـارق الحيـاة في الليلـة الـتي سـبقت خـروج مئـات مـن أهـل القريـة بمـن فـيهم النـساء والأطفـال سـيرا علـى الأقـدام، وتركـت العـائلات في هروبهـا جراراتهـا وحيوانـات مزارعهـا ولم تأخـذ معهـا سـوى كـيس مـن الملابـس في أفـضل الأحوال.

وسـارت العـائلات في الطـرق الخلفيـة وخاضـت في ميـاه القنـوات خـشية أن تقابـل مقـاتلي الدولـة الإسـلامية أو القـوات الحكوميـة. وبعـد أن أمـضت العـائلات الليـل في قريـة مهجـورة التقـى أهلـها بأقـاربهم مـن الـدورة علـى الطريـق الرئيـسي المـؤدي إلى العاصـمة.وحمـل أبـو حـسين رجـلا مـسنا إلى بغـداد غـير أنه توفي بعد نحو أسبوع.

وعـادت إحـدى جـارات أبـو حـسين وهـي امـرأة مـسنة تنـام الآن علـى ارض مطـبخ في الـدورة إلى قراغـول لبـضع سـاعات في أكتـوبر تـشرين الأول ومعهـا رسـالة رسميـة مـن قيـادة قـوات الأمـن العراقيـة تـسمح لهـا بزيـارة القريـة. وقالـت إنهـا شـاهدت دوريـات الجـيش والميليـشيا ومجموعـة مـن البيـوت المحروقـة، وأضـافت «لم تبـق أي حيوانـات. دمـار كامـل فقـط وبيوت محترقة».

ويقـول رافـد جبـوري المتحـدث باسـم العبـادي إن رئـيس الـوزراء الجديـد يعمـل بكـل جهـده لحمايـة المـدنيين الـسنة والـسيطرة علـى الميليـشيات. وأضـاف أن العبـادي يـرفض أي محـاولات سـواء مـن جانـب الـسنة أو الـشيعة لـتطهير منـاطق مـن طائفـة أو أخـرى.وقـال جبـوري «في يونيـو (حزيـران) ظننـا جميعـا عنـدما نـشب هـذا الـصراع... أنـه سـتكون هنـاك عمليـة تطهـير طـائفي كـبيرة في بغـداد... ولم يحـدث ذلـك. ومـا حـدث أن العـراقيين تمكنـوا مـن تـشكيل حكومة وحدة وطنية تتبع أجندة إصلاح».

غـير أن بعـض المـسؤولين الـشيعة والغـربيين يـسلمون في لقـاءات خاصـة بـأن العبـادي يواجـه مهمـة صـعبة في ضـوء الـضعف الـشديد للجـيش.وقـال دبلوماسـي أجـنبي يقـيم في بغـداد «هـذا بلـد يـشهد حربـا أهليـة وحـشية. وأنـا علـى ثقـة أن العبـادي يـود الـسيطرة علـى الميليـشيات. لكـن كيـف يفعـل ذلـك وهي تدافع عن بغداد في مواجهة الدولة الإسلامية».

❖ «قتل الأبرياء»

ذات يـوم في شـهر أكتـوبر تـشرين الاول وقـف اثـان مـن أبنـاء العمومـة الـسنة في بلـدة اللطيفيـة علـى مـسافة ٣٨ كيلـومترا تقريبـا إلى الجنـوب مـن بغـداد علـى مقربـة مـن مـزارات شـيعية لهـا مكانـة كـبيرة وراحـا يـصفان كيـف دخـل تنظـيم الدولـة الإسـلامية، وتـرددت في الأفـق أصـداء القـصف المـدفعي لمدينـة جـرف الـصخر القريبـة، بمعـدل انفجـار كـل خمـس دقـائق تقريبـا. ومرقـت في الطريـق سـيارة همفـي تابعـة للحكومة بزجاج مهشم.

وروى الإثنـان كيـف وصـل مقـاتلو الدولـة الإسـلامية إلى حيهمـا في الربيـع. فقـد ظهـروا لـيلا وسـيروا الـدوريات في القريـة. وقـال أحـد الـرجلين وهـو يتذكـر الأحداث «كان حديثهم براقا».

وفي الليلـة الـتي أعقبـت اسـتيلاء الدولـة الإسـلامية علـى مدينـة الموصـل الـشمالية نظمـت الجماعـة استعراضـا وذبحـت خرافـا لكـسب الـسكان المحلـيين. وقـال المقـاتلون للـشباب إن بغـداد سـتسقط قريبـا ووزعـوا علـى رجـال القريـة عبـاءات داكنـة اللـون

كما نسفوا عشرة بيوت كتحذير للمزارعين المحليين. وشعر السكان أنه لا خيار أمامهم سوى التعاون مع القادمين أو المجازفة بدخول السجن أو حتى بالاعدام.

وفي يوليو تموز بدأت القوات الحكومية والميليشيات تستهدف مزارع المنطقة بقذائف المورتر والمدفعية، وبحلول الاسبوع الثاني من يوليو تموز كان أغلب الناس قد رحلوا. وقال أحد الرجلين «أخذنا العوائل. وأغلقنا بيوتنا وتركنا الابقار والغنم وانطلقنا».

ويقول الجيش الان إن بمقدور الناس العودة لبيوتهم. لكن أغلب البيوت لحقت بها أضرار وسويت أشجار النخيل بالارض كما أن الناس يخشون الميليشيات التي قالت إنها تشتبه أن بعض أهل القرية على صلة بالدولة الإسلامية. وفي الاسبوع الماضي نسف مقاتلو الميليشيات ٣٥ بيتا في قريتين مهجورتين في منطقة قريبة.

وفي الظروف العادية يلجأ الناس لقياداتهم التقليدية طلبا للحماية. لكن زعماء العشائر السنية في الحزام كانوا هم أنفسهم مستهدفين.ومن هذه القيادات مؤيد العلواني وهو شخصية فارعة الطول ممتلئة الجسم. في يونيو حزيران بدا عليه الخوف وهو يصف كيف نسف رجال الدولة الإسلامية بيوت السنة الذين لم يؤيدوا التنظيم وقتلوا المعتدلين الذين تحدثوا عن المصالحة. وقال إن قوات الأمن الحكومية والميليشيات كانت تعمل أيضا في المنطقة وإنها مسؤولة عن اعتداءات وحشية.

وقال العلواني «البلد يمتلىء بالعصابات. والمجرمون الذين يقتلون الناس وهم مئات الجماعات والفئات المختلفة كلهم على نفس الشاكلة. فكلهم يقتلون الأبرياء».وبعد أسبوعين من التحدث مع رويترز اختفى العلواني في منطقة الحزام جنوبي بغداد وهو يقود سيارته على طريق تسيطر عليه الميليشيات وقوات الأمن.

ووصفته شخصيات عشائرية شيعية تعرفه بأنه من المعتدلين. وتعتقد هذه الشخصيات أن مقاتلي الميليشيات وليس المتطرفين السنة خطفوه كما أنها لا تعتقد أنه على قيد الحياة.

القيادي في حزب التجمع اليمني للإصلاح زيد الشامي يعتذر عن حواره مع الحوثيين

القدس العربي ٢٠١٤/١٢/١٤

أوضح القيادي في حزب التجمع اليمني للإصلاح زيد الشامي أن خطوات التقارب مع جماعة الحوثي انتهت، مشيراً إلى أنهم غير جادين أو ان قرارهم ليس بيدهم.

وفي بيان نشره على صفحته الشخصية بمواقع التواصل الاجتماعي بين الشامي أن جماعة الحوثي وبعد دخولهم أرحب فجروا دار القرآن الكريم ومنازل قياديين إصلاحيين فيها على الرغم من جهود لجنة الوساطة.

وأضاف «أن دعوات السلم والشراكة والتعايش التي ينادون بها ليست جادة، أو أن قرارهم ليس بيدهم»..

وفيما يلي نص البيان:

سنظل ننشد السلام والتعايش والوئام، وأي دعوة جادة لتحقيق هذا الهدف النبيل ليس من المنطق عدم التجاوب معها، وعندما عرض الأخ عبد الملك الحوثي رغبته في التعايش والتعاون مع الإصلاح رحبت بالدعوة، ثم كُلِّفتُ من قيادة الإصلاح أن أكون أحد الذين يلتقونه في صعدة، وهناك أبدى الجميع رغبتهم في التعايش وطي صفحة الماضي، والتعاون في بناء اليمن بالشراكة مع كل المكونات السياسية، مع العمل لمعالجة كل تداعيات الصراع والحروب في الفترة الماضية.

المؤسف أن الإخوة الحوثيين لم يبدأوا بأي

خطوات جادة لمعالجة تجاوزات الماضي، بل استمرت اعتداءاتهم في أكثر من منطقة، وأخيراً وافق أبناء أرحب على تجنيب بلادهم المواجهة المسلحة والصراع مع جماعة الحوثي بناء على جهود لجنة الوساطة، إلا أننا تفاجأنا بعد دخولهم المنطقة قيامهم بتفجير المساجد ودور القرآن ومقرات ومنازل الإصلاحيين، وهذا يدل على أن دعوات السلم والشراكة والتعايش التي ينادون بها ليست جادة، أو أن قرارهم ليس بيدهم.

إنني أبرأ إلى الله من كل الاقتحامات والانتهاكات والتفجيرات التي وقعت وتمارس، وأسأل الله القوي الجبار أن ينتقم من كل طاغية وظالم...

أعتذر لكل من أحسن الظن وأيّد خطوات التقارب التي شاركت فيها، لأن ما يتم على أرض الواقع خيّب آمالنا وآمالهم؛ كما أعتذر لكل الذين هاجموني واستنكروا مشاركتي في تلك اللقاءات، واعترف أنهم كانوا على صواب في عدم ثقتهم بحسن النوايا، ولكن يكفينا أننا ارتفعنا فوق الجراح واستجبنا لدعوات التعايش وتعاملنا بمصداقية، «وحسبنا الله ونعم الوكيل».

"اليسار القومي" المستلب من "الإسلام السياسي" قصة ملخصها عزمي بشارة

الشرق الأوسط ٢٠١٤/١٢/١٥

كامل الخطي - باحث سعودي

متخصص في الحركات اليسارية

في كتابه الصادر عام ٢٠٠٣ عن دار الكنوز الأدبية، بعنوان «التنظيمات اليسارية في الجزيرة والخليج العربي»، يورد عبد النبي العكري بعض تفاصيل مقابلة خاصة أجراها في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٨٥ مع أحد قياديي حزب العمل الاشتراكي العربي في الجزيرة العربية، الذي هو الفرع السعودي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة الدكتور جورج حبش، ومن تلك التفاصيل، موقف الحزب من أحداث شهر نوفمبر ١٩٧٩ التي تمثلت في اقتحام جهيمان وجماعته المسلحة الحرم المكي واحتلاله، وفي الأحداث الدامية التي شهدتها مدينة القطيف وقراها.

❖**يقول قيادي حزب العمل**: «إن الحزب هو تنظيم سري.. فإننا لا نستطيع الكشف عن نضالات الحزب وإسهاماته في النضال الوطني. لكن مجرى الصراع الساخن في السعودية وخصوصا أثناء انتفاضة الحرم المكي والمنطقة الشرقية في مطلع السنة الهجرية ١٤٠٠ (نوفمبر ١٩٧٩) قد دفع بقواعد الحزب إلى الشارع، حيث شارك التيار الإسلامي الشيعي بقيادة منظمة الثورة الإسلامية لتحرير الجزيرة العربية، وفي ذات الوقت أبدى الحزب تعاطفه الشديد مع حركة السلفيين بقيادة (الشهيد) جهيمان العتيبي، وأشاد بهما علنيا».

هذا القيادي الذي اقتبس عبد النبي العكري كلامه، لا يعبر عن موقف شخصي، بل يعبر عن موقف الحزب الرسمي، إذ يتطابق كلامه مع الموقف الرسمي للحزب، وهذا ما استخلصه عبد النبي العكري من دراسته لوثائق الحزب التي اطّلع عليها، مثل تقرير أصدره الحزب تحت عنوان «الوضع الطبقي في الجزيرة العربية» يوليو (تموز) ١٩٨٢، وتقرير «النفط والمجتمع في الجزيرة العربية» ١٩٨٥، وأعداد من مجلة «الهدف»، ومجلة «طريق الثورة»، ونشرة الحزب الرسمية «المسيرة»، ومجلة «الجزيرة الحرة»، حيث كتب عبد النبي العكري في الصفحتين ٢١٧ - ٢١٨ من كتابه سابق الذكر: «يشدد الحزب على ضرورة العمل الجبهوي للقوى الوطنية في السعودية، وقد كرس لذلك أكثر من مقال في (المسيرة) و(الجزيرة الحرة) والكتيبات الأخرى والعديد من البيانات. ولقد اكتسبت هذه القضية أهمية استثنائية في ضوء

تجربة انتفاضتي الحرم والمنطقة الشرقية في محرم ١٤٠٠هـ (نوفمبر ١٩٧٩) والتي لعبت فيها القوى الإسلامية (الشيعية والسلفية) الدور القيادي وشاركت فيها القوى السياسية المعارضة الأخرى وبالتحديد حزب العمل والحزب الشيوعي دون اتفاق سابق. إن هذا التلاحم في الشارع والتجاور في السجون، شكلا دافعا لتقارب المنظمات الثلاث (منظمة الثورة الإسلامية وحزب العمل والحزب الشيوعي) ونشّطا الحوار بين هذه الفصائل وحفزا طرح قضية التحالف كقضية ملحة، وعلى هذا الأساس ركزت الفصائل الثلاث على هذه القضية في أدبياتها وبياناتها ومواقفها».

هذه ليست قضية يتيمة جرت أحداثها على الساحة المحلية السعودية بشكلٍ منفصل عن السياق العام لعلاقة بعض - وأشدد هنا على كلمة بعض - كتل اليسار واليسار القومي العربي بالإسلام السياسي، فالسعي الحثيث لتحالف يساري قومي - إسلامي قد تجلى في المؤتمر القومي - الإسلامي الثاني الذي نظمه مركز دراسات الوحدة العربية عام ١٩٩٧ في بيروت وقدم خلاله مفكرون وباحثون قوميون واشتراكيون اقتراحات تدفع باتجاه بناء مشروع سياسي قومي عربي - إسلامي عن طريق تعريب وعقلنة الإسلام السياسي، والتنازل عن شرط علمانية الدولة في الوعي السياسي القومي العربي.

هذه المحاولة وغيرها من المحاولات ذات نفس المنحى، لم يكتب لها حظ من النجاح بسبب طبيعة علمانية المشروع القومي بيمينه ويساره. هذه العلمانية تختلف جذريا إلى درجة التصادم مع الطبيعة الثيوقراطية لطموحات فصائل الإسلام السياسي. ففي بداية ستينات القرن العشرين صدر كتيب عن الجماعة الإسلامية في لبنان بعنوان «من مبادئ وأهداف الجماعة الإسلامية»، جاء في الكتيب رأي الجماعة في اليسار في شكله الشيوعي حرفيا: «من أخطر الاتجاهات التي تهدد عقيدة الأمة وأخلاقها بالفناء والدمار».

ذات الكتيب لم يتحدث مطلقا عن النظام الرأسمالي ومخاطره، رغم أن الجماعة الإسلامية في لبنان قدمت نفسها ضمن الأطر التقدمية من خلال قولها بالوحدة العربية، ودفاعها عن غير المسلمين في البلاد العربية، وخطابها المعادي، دون مواربة، للطائفية. تتراجع الجماعة الإسلامية في لبنان عن أفكارها الودودة تجاه العرب والعروبة، من خلال خطابها الإسلامي الأممي الذي ظهر جليا في نشرة توجيهية بعنوان «هذا هو الطريق»، صدرت بين عامي ١٩٦٥ و١٩٦٦ وهذا التحول، من القومية، إلى الأممية الإسلامية، جاء نتيجة انفتاح الجماعة على تنظيرات الندوي، والمودودي، وسيد قطب، والموصلة لقناعة «جاهلية المجتمع»، و«حاكمية الله».

رغم العداء المستحكم بين الإخوان المسلمين وحزب التحرير، فإن موقف الجماعتين من التيارات القومية واليسارية، يتشابه؛ فحسب مؤسس حزب التحرير الشيخ تقي الدين النبهاني، وكما جاء في كتابه «نظام الإسلام»: «إن الرابطة الوطنية رابطة فاسدة، وكذلك الرابطة القومية، إذ إن هذه الروابط تنشأ عن العاطفة وغريزة البقاء».

يرى حزب التحرير أن المجتمعات التي يعيش فيها المسلمون، هي مجتمعات غير إسلامية، لكنه لا يرى أنها مجتمعات جاهلية أو دار كفر بشكل مباشر؛ ولحزب التحرير وأفكاره تأثير واضح في صوغ موقف الوجدان العربي - الإسلامي من تجربة تركيا الكمالية، خصوصا وأن حزب التحرير جعل من قضية الخلافة حجر الأساس لمشروعه السياسي.

هذا في الجانب السني من الإسلام السياسي. نجد في الجانب الشيعي تجربة السيد موسى

الصدر الذي جاء إلى لبنان عام ١٩٥٩م بتشجيع من أستاذه السيد محسن الحكيم، وقد كان الهدف الرئيسي وراء انتقاله إلى لبنان، إيجاد أُطر تنظيمية جامعة لأبناء الطائفة الشيعية الذين كانوا متوزعين ومتفرقين، على الأحزاب القومية، واليسارية، والقوى السياسية التقليدية، فضلا عن التنظيمات الفلسطينية، وولد نتيجة الجهود التي بذلها السيد موسى الصدر (المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى) في ١٨ مايو (أيار) ١٩٦٩ وهذا المجلس هو الهيئة الأب لحركة المحرومين، التي انطلقت عام ١٩٧٣، والتي أنشأت ذراعها العسكرية (حركة أمل)، وكانت (حركة فتح) الفلسطينية أول من أمدّ (حركة أمل) بالسلاح. استمرت العلاقة الطيبة بين حركتي فتح وأمل، حتى عملية الليطاني عام ١٩٧٨، حيث نشب الخلاف بين الحركتين إثر نجاح إسرائيل بتطبيق معاقبة البيئة الحاضنة عوضا عن استهداف القواعد العسكرية. منذ ذلك الحين، تبلور الشكل النهائي لحركة أمل كفصيل سياسي مسلح ذي هوية طائفية محددة الملامح، مثله في ذلك، الفصائل اليمينية المسيحية اللبنانية كحزب الكتائب، والأحرار، وتيار المردة.

يقودنا البحث عن الأصل النظري للإسلام السياسي الحديث إلى فكرة «الجامعة الإسلامية» التي وضع أساسها السلطان عبد الحميد الذي كان نُصْب عينيه عدوه العلماني الأقدر والأكثر نفوذا وتأثيرا داخل السلطنة، والقصد جماعة «تركيا الفتاة» ثم «الاتحاد والترقي» اللتان شكلتا القومية التركية «الطورانية» الرافعة الرئيسية لأفكارهما، بالتوالي.

نظم التيار الطوراني حملة تتريك شرسة على الولايات العربية، وحاول السلطان عبد الحميد الحد من النفوذ المتزايد للقوميين الطورانيين من خلال فكرة «الجامعة الإسلامية» التي أراد من خلال تسويقها، تكريس منصب الخلافة رمزا للدولة الإسلامية.

راجت فكرة «الجامعة الإسلامية» عند المواطنين العثمانيين من غير الأتراك، أكثر من رواجها في أوساط الأتراك، لأن فكرة «الجامعة الإسلامية» كانت محاولة بناء سد مانع لانهيار الإمبراطورية العثمانية، التي رأى القوميون الطورانيون علاماته واضحة، فعملوا على إعادة صياغة المفهوم الإمبراطوري على أسس قومية علمانية متأثرة كثيرا بالتجربة البروسية والمنهج البسماركي.

انخرط عدد من منتسبي النخبة العربية في تجربة جماعة «تركيا الفتاة»، ومن ثم جماعة «الاتحاد والترقي»، وانسحبوا من التجربة بعد اكتشافهم العمق العنصري في الأسس الفكرية للتيار الطوراني. من هنا، يحاول الخطاب القومي العربي أن يُعمّي على الأثر البسماركي والأثر الطوراني في جذوره، بل يحاول أن يمرر اقتران العروبية بالإسلام كمناهض للتتريك المعلمن، وهذه مراوغة كلامية تحتاج إلى مراجعة دقيقة لإبطالها؛ فآباء العروبية الأوائل كانوا غير متدينين، بل إن بعضهم كان ملحدا، كما أن من أشياخهم البارزين من لم يكن مسلما أصلا.

صراع السلطان عبد الحميد وأنصاره من الملتفين حول فكرة «الجامعة الإسلامية»، أو كما عرفوا حينئذ «الحزب الحميدي»، من جهة، والقوميين الطورانيين بكل ما اكتسبوه من قوة وتأثير داخل السلطنة، من جهة أخرى، جعل من مسيحيي مدن بلاد الشام، جماعة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. ولهذا، كانوا رواد في تأسيس فكرة العروبية.

المراوغة الكلامية التي يمارسها الخطاب العروبي تتجلى حاليا في نموذج الدكتور عزمي بشارة. بدأ عزمي بشارة نشاطه السياسي عام ١٩٧٤، وهو لا يزال على مقاعد الدراسة قبل الجامعية في المدرسة المعمدانية، حيث أسس وترأس «اللجنة الوطنية للطلبة العرب الثانويين»؛ كان عزمي بشارة وقتذاك تحت تأثير بيئته المنزلية، إذ كان والده يعمل مفتشا صحيا، وناشطا نقابيا على صلة بالحزب الشيوعي الإسرائيلي (راكاح).

استمر نشاط عزمي بشارة السياسي في مرحلة دراسته الجامعية في جامعة حيفا، والجامعة العبرية في القدس، وكان بشارة وقتها يحمل عضوية الحزب الشيوعي الإسرائيلي (راكاح)، وحاملا لفكرة الأممية - الماركسية، ومدافعا صلبا عنها.

في تلك الفترة، لعب دورا فعالا في تأسيس «لجنة الطلبة العرب» في الجامعة العبرية. رفضت اللجنة المركزية للانتخابات في إسرائيل طلب عزمي بشارة للترشح لعضوية الكنيست عام ٢٠٠٣، ووجهت له تهمة عدم الاعتراف بيهودية دولة إسرائيل، وإشادته بكيانات معادية.

دافع بشارة عن نفسه، مقابل التهم، بقوله «إنه لم ولن يدعو الشعب الفلسطيني داخل إسرائيل إلى خوض كفاح مسلح، وإنه لم ولن يدعم قط، الأنشطة العنفية».

ردت المحكمة العليا في إسرائيل الدعوة المرفوعة ضد عزمي بشارة بموجب هذه التهم، وأعادت له حق الترشح، فخاض الانتخابات، وفاز بمقعد في الكنيست عن حزب البلد الذي أسسه مع آخرين عام ١٩٩٥م، والذي يصف نفسه بأنه: «الحزب القومي التقدمي الديمقراطي لمواطني إسرائيل من الفلسطينيين». تتلخص آيديولوجيا الحزب كالتالي:

❖ النضال لتحويل إسرائيل إلى دولة ديمقراطية لجميع مواطنيها، بغض النظر عن هويتهم الإثنية.

❖ معارضة فكرة يهودية دولة إسرائيل.

❖ النضال من أجل إعادة صياغة إسرائيل كدولة ثنائية القومية.

❖ الضغط على دولة إسرائيل لنزع اعترافها بالفلسطينيين العرب «أقلية قومية» لها حق التمتع بكافة الحقوق التي تترتب على هذا الاعتراف، بما فيها التعليم، والثقافة، والإعلام.

❖ يؤيد الحزب حل الدولتين على أساس حدود قبل الرابع من يونيو (حزيران) ١٩٦٧م، مع الضفة الغربية، وقطاع غزة، والقدس الشرقية.

❖ يعمل الحزب على تطبيق القرار رقم ١٩٤ القاضي بحق عودة اللاجئين الفلسطينيين.

يتضح من مفردات الهوية الآيديولوجية لحزب البلد، أن عزمي بشارة تحول لناشط إصلاحي - سياسي إسرائيلي، وهذا توجه منسجم مع التوجه العام لليسار الجديد في إسرائيل، بل إن عزمي بشارة كان قد تقدم للمنافسة على منصب رئيس الحكومة عام ١٩٩٩م، وهو أول عربي في إسرائيل يقدم على مثل هذه الخطوة، ثم انسحب قبل يومين من موعد الانتخابات مخليا بذلك الساحة للمتنافسيْن الآخريْن، بنيامين نتنياهو وإيهود باراك.

تحولت علاقة عزمي بشارة مع السلطات الإسرائيلية بشكل دراماتيكي بُعَيْد حرب يونيو عام ٢٠٠٦م. قام عزمي بشارة في ذلك العام بزيارة لبنان وسوريا. وأشاد بحزب الله وبالرئيس بشار الأسد؛ استدعته الشرطة الإسرائيلية وحققت معه في تهم في غاية الخطورة، منها، إعطاء معلومات عن الجيش الإسرائيلي لكيان معادٍ أثناء فترة الحرب، وتلقي أموال مقابل ذلك، والتخابر مع جهات عدوة، وغسل أموال لصالح أنشطة إرهابية. غادر عزمي بشارة إسرائيل عام ٢٠٠٧م مصرحا أنه سيغيب لفترة أيام، وسيعود لحضور جولة جديدة من التحقيقات. لم يعد عزمي بشارة إلى إسرائيل، بل

قـدم اسـتقالته مـن عـضوية الكنيـست إلى الـسفارة الإسـرائيلية في القـاهرة، وظهـر في قطـر. ووردت معلومـات غزيـرة، مـن جهـات مختلفـة، تفيـد بـأن عزمـي بـشارة قـدم استـشارات لجماعـة الإخـوان المـسلمين في سـوريا، وأنـه كـان أحـد العقـول الـتي صـاغت «التحـالف الـوطني»، وذلـك بتكليـف مـن أمـير قطـر الـسابق الـشيخ حمـد بـن خليفـة آل ثـاني. عزمـي بـشارة، ذلـك اليـساري العتيـق ذو الجـذر الرومـي الكـاثوليكي، الـذي تحـول لناشـط إصـلاحي - سياسـي إسـرائيلي، واصـل تحولاتـه، فأصـبح مـدافعا جهـوري الـصوت عـن الإسـلام الـسياسي في تجليـه الإخـواني، مـع مـزج خطـابي مـراوغ بـين العروبيـة والإسلام!

يؤكـد عزمـي بـشارة، منـذ قدومـه إلى قطـر، علـى صـورته كـأب روحـي لتيـار العروبيـة الجديـدة، مـن خـلال مـشاريعه الفكريـة، والإعلاميـة، وحـضوره الإعلامـي الكثيـف، وغـزارة إنتاجـه الكتـابي. تـصب جهـوده هـذه في اتجـاه داعـم لموجـة مـا عـرف بـ«الربيـع العربـي»، ومنهـا مقـال طويـل لعزمـي بـشارة نُـشِرَ في جريـدة «المُـدُن الإلكترونيـة» يـوم ٣ سـبتمبر (أيلـول) ٢٠١٣ تحـت عنـوان «مـصر: الثـورة ضـد الثـورة»، جـادل فيـه، ببلاغـة، عـن حـق الـرئيس الإخـواني المخلـوع محمـد مرسـي في إكمـال مدتـه الدسـتورية، ونـدد بعـدم شـرعية خلعـه، وحـاول تفنيـد مقولـة «شـرعية الـشارع» الـتي ظهـرت للوجـود نتيجـة الحـشد الـشعبي الهائـل في ٣٠ يونيـو ٢٠١٣م. يجـادل بـشارة بـالقول إن هـذه الحـشود كانـت مجـرد غطـاء لانقـلاب ٣ يوليـو ٢٠١٣م، وبأنهـا تحـدٍ لـ«شـرعية الـشعب»، وبأنهـا صـيغة فاشـية نجحـت الثـورة المـضادة في تـشكيلها بالتعـاون مـع أجهـزة الدولـة العميقـة، منكـرا، لكـن بمواربـة فيهـا الكـثير مـن الحذلقـة، علـى الـشعب المـصري حقـه في الإطاحـة بـالرئيس محمـد مرسـي؛ حجتـه في ذلـك أن الـرئيس مرسـي جـاء عـن طريـق الـصندوق، وعـن طريـق الـصندوق، فقـط، يكـون خلعـه شـرعيا. أظهـر عزمـي بـشارة، في مقالـه المـذكور، قـدرة عاليـة علـى المراوغـة الكلاميـة لا أظـن أن كـوادر حركـة الإخـوان تقـدر علـى الإتيـان بمثلها.

يتـدثر عزمـي بـشارة بلحـاف الحقـوق أثنـاء دفاعـه البليـغ عـن الإخـوان، ولا يتوقـف عنـد المفـترق الخطـير الـذي يتـبين عنـده أن المـشروع الوجـودي للإخـوان هـو «الدولـة الدينيـة» الـتي هـي مـشروع يلغـي مـا اشـتغل عليـه، وانـشغل بـه، عزمـي بـشارة طيلـة عقـود، أقـصد «الدولـة المدنيـة الديمقراطيـة». عزمـي بـشارة لـيس حالـة منقطعـة عـن الـسياق، فتموضـعه الـسياسي الـذي أخـذ شـكله الحـالي منـذ خروجـه مـن إسـرائيل، واسـتقراره في قطـر عـام ٢٠٠٧م، لا يختلـف كـثيرا عـن الموقـف الـذي شـرحه عبـد الـنبي العكـري عـبر اقتباسـه كلامـا قالـه لـه قيـادي في حـزب العمـل عـام ١٩٨٥م، وتطـابق مـع الموقـف الـذي استخلـصه عبـد الـنبي العكـري، أيـضا، مـن دراسـته لوثـائق حـزب العمـل الاشـتراكي العربـي في الجزيـرة العربيـة. هـل يـبرر العـداء للأنظمـة الحاكمـة، التحـالف مـع جماعـات سياسـية دينيـة تعمـل علـى مـشروع يلغـي كـل مخـالف، ويلغـي المعنـى المـدني للدولة، أي دولة؟!

عن حماس وإيران

أسامة أبو ارشيد – العربي الجديد ٢٠١٤/١٢/١٩

كمـا كـان متوقعـاً، فـإن إشـادة «أبـو عبيـدة»، النـاطق الرسمـي باسـم كتائـب الـشهيد، عـز الـدين القـسام، الجنـاح العـسكري لحركـة المقاومـة الإسـلامية، حمـاس، بـإيران، في كلمتـه في العـرض العـسكري الـذي نظمتـه الحركـة في غـزة، يـوم الأحـد (١٢/١٤)، في الـذكرى الـسابعة والعـشرين لانطلاقتهـا، لم تمـر مـن دون أن تـثير ردود فعـل ناقـدة.

وكان أبو عبيدة قد قال: «شكراً لكل أولئك من أفرادٍ وجماعات ودول، وعلى رأسهم جمهوريةُ إيرانَ الإسلامية، التي لم تبخل علينا بالمال وبالسلاح وبأمور أخرى، وأمدّتنا في المقاومة بالصواريخ التي دكّت حصون الصهاينة في صولات وجولات مضت مع المحتل».

مثار الاعتراضات، هنا، أن إيران، بسياساتها التخريبية في المنطقة، تماهت في العقل العربي الجمعي مع خانة الخصوم، لا الحلفاء. فمن لبنان إلى العراق إلى سورية فاليمن، تجدُ أصابع العبث الإيرانية حاضرة.

ضمن السياق السابق، لعبت إيران، وما زالت، دوراً سيئاً جداً في بعض الفضاء العربي، خصوصاً بعد أن اختارت أن تقف إلى جانب نظام الرئيس السوري، بشار الأسد، في حربه الوحشية على شعبه. وها هو الدور الإيراني التخريبي على دول الثورات العربية يصل إلى اليمن، أين تحالف وكيلها «الحوثي»، مع بؤر نظام الرئيس السابق، علي عبدالله صالح، من أجل وأد الثورة اليمنية وتدمير اليمن، انتقاماً.

إذن، اختارت إيران، وبوضوح، أن تقدم مصالحها الاستراتيجية الضيقة، وحساباتها الطائفية فاقعة اللون، في المنطقة، على حرية الشعوب العربية ومصالحها. وهي، في سبيل ذلك، لم تتردد في التحالف ضمنياً، مع أنظمة عربية، تَعُدُّها خصماً لها، في مسعاهم المشترك إلى خنق الثورات العربية، ولا حتى مع الولايات المتحدة نفسها في حربها على «الإرهاب»، كما في العراق وسورية.

أبعد من ذلك، وحسب بعض قيادات حماس، والقريبين منها، فإن إيران قطعت جُلَّ، إن لم يكن كُلَّ، الدعم المالي والعسكري الذي كانت تقدمه للحركة، منذ أن افترقت مواقفهما حول الثورة السورية منذ مارس/آذار ٢٠١١. فقيادة حماس، والتي كانت تقيم في دمشق، رسميّاً، منذ مطلع القرن الحالي، وحتى عام ٢٠١٢، رفضت أن تكون «مُحَلِّلَ زور» لصالح النظام في قمع شعبه، فكان أن اختارت لها، ولكوادرها، مَنَافيَ جديدة فوق المنفى الذي يعيشونه. وأي منصف يدرك أن حماس، بموقفها الرافض تأييد النظام السوري في بطشه، اختارت تجرع السمِّ على خيانة مبادئها. فليس سرّاً أن نظام الأسد قدم لحماس ميزات وتسهيلات، عقداً كاملاً، لم تعرفها من قبل، ولم تعرفها بعد مرحلة دمشق.

إيران، الغاضبة حينئذ، أرادت من حماس أن تسرع إلى نجدة نظام الأسد، والذي كان يصنف مع إيران وحزب الله وحماس ضمن «محور الممانعة». وإن كان دعم إيران وحزب الله لم يتأخر، فإن دعم حماس التي حاولت، في البداية، التزام الحياد، لم يأت أبداً، وهو ما أفقد الأضلاع الشيعية لـ«محور الممانعة»، العمق السني، ممثلاً بحماس، لتعضيد زعم «المؤامرة القذرة» على «النظام الممانع». ولكن، إذا كان العامل الطائفي حاضراً في حسابات إيران وحزب الله، إلى جانب الحسابات الاستراتيجية والسياسية الأخرى، فإنه غير موجود في حالة حماس. بل إن تورط حماس في حسابات مثل تلك كان سيفقدها عمقها السني، فضلاً عن مصداقيتها في الشارع العربي المؤيد، في غالبه، ثورة الشعب السوري.

بعد خروجها من دمشق، بدا لحماس أنه يمكنها تعويض الدعم الإيراني- السوري. فالمنطقة العربية كانت تعصف بها رياح التغيير، ومصر كانت قد شهدت ثورة، والإخوان المسلمون، حاضنة حماس الفكرية والتنظيمية، كانوا يحققون الانتصارات الانتخابية، وصولاً إلى الفوز بالرئاسة، عبر الرئيس محمد مرسي. أيضا، كذلك كان الحال في تونس، فضلاً عن الدعم والرعاية اللتين تجدهما من قطر وتركيا.

غير أن إجهاض ثوراتٍ عربية كثيرة، واستعادة بنى النظم القديمة زمام الأمور، ضمن تحالف إقليمي ودولي واسعين، وضع حماس أمام معضلة حقيقية، خصوصاً بعد الانقلاب العسكري في مصر، وتعامل نظام الجنرالات معها عدواً، ضمن سياق حربه الأوسع على جماعة الإخوان المسلمين. وزاد من تعقيد الأمور احتضان دول عربية المقاربة المصرية في التعامل مع الإخوان، وحماس منهم، وكان ذلك أوضح ما يكون في أثناء العدوان الإسرائيلي، أخيراً، على قطاع غزة في الصيف الماضي. وهكذا، أضحت حماس، بين ليلة وضحاها، بحلفاء قليلين، فلا هي بقيت ضمن أضلاع «محور الممانعة» الإيراني، ولا هي مقبولة ضمن المحور المصري بعض الخليجي الجديد.

خلال العدوان الصهيوني على غزة، في ديسمبر/كانون أول ٢٠٠٨، يناير/كانون ثاني ٢٠٠٩، قدمت إيران عوناً لا ينكر لحماس، لكنها لم تفعل ذلك في عدوان نوفمبر/تشرين ثاني ٢٠١٢، ولا عدوان الصيف الماضي، وبقيت العلاقة بين الطرفين فاترة. ولكن، إن كان لحماس حلفاء آخرون كثر في عدوان ٢٠١٢، فإنه لم يكن لديها حلفاء كثيرون، في العدوان الأخير، وهي، اليوم، تعيش حصاراً خانقاً. في المقابل، تبدو إيران، والتي تفاوض الولايات المتحدة، اليوم، على ملفها النووي، وترسيم دائرة نفوذها في منطقة الشرق الأوسط، بحاجة إلى ورقة حماس بيدها. فحماس هي الفصيل الفلسطيني الأقوى، والأكثر تهديداً لإسرائيل، وإيران تأمل، عبر تفعيل العلاقة معها، بأن يساهم ذلك في تعزيز موقفها التفاوضي مع الولايات المتحدة، وضبط رد الفعل الإسرائيلي قدر الإمكان.

ضمن الإطار التحليلي السابق، تأتي إشادة «أبو عبيدة» بدور إيران في سياق الإزاحات الضرورية في المواقف السياسية، من دون أن يعني ذلك تنازلاً من طرف لآخر عن مواقفه ومبادئه. فلا إيران ستتخلى عن موقفها الداعم للنظام السوري، ولا حماس ستقبل أن تكون لعبة بيد إيران. ما جرى ليس أكثر من التقاء مصالح، في لحظةٍ معينة، وفي ظرف معين.

ما تريده حماس من طهران، هو دعم القضية الفلسطينية ودعم المقاومة، بعيداً عن الاشتراطات السياسية (وهو أمر مشكوك فيه)، وما تريده إيران، هو موقف تفاوضي أقوى في المنطقة مع الولايات المتحدة، فضلاً عن تحسين صورتها المشوهة في المخيال العربي، وهي، في كل الأحوال، لن تنجح في ذلك. وحماس، في فعلتها هذه، ليست بدعاً في السياسة، فحتى بعض فصائل الثورة السورية وضعت يدها في يد أنظمة عربيةٍ تآمرت على ثورات العرب كلها، وساهمت في انقلاب مصر، كما أنها تحالفت مع الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، وهم ليسوا أقل إجراماً في حق الأمة العربية من إيران. وإذا كان أحد لم يلم الإخوة السوريين على ذلك، من زاوية تفهم ظرفهم، فإنه ينبغي للإخوة السوريين أن يتفهموا ظرف غيرهم.

كل ما سبق لا يمنع من القول، إن حماس ستغامر بصورتها ومصداقيتها وعمقها العربي والإسلامي، إن هي تورطت في مدِّ اليد من جديد إلى النظام السوري، قبل أن يحسم السوريون أمرهم حول مستقبل ثورتهم.

٧ مواقف ترسم توجهات إيران حيال المشهد الخليجي

د. محمد السلمي – مكة أون لاين ٢٠١٤/١٢/٢٠

يستعرض هذا التقرير الموقف الإيراني حيال التقارب بين جيرانه العرب مثل تشكيل مجلس التعاون لدول الخليج العربية، ودرع الجزيرة والجسر الذي يربط البحرين بالسعودية ودعوات تحويل هذا الكيان إلى اتحاد شامل، والمصالحة الخليجية، إضافة إلى التباينات الخليجية وأزمة سحب السفراء الأخيرة.

ويظهر التقرير كيف أن النظام الإيراني يعمل على الحيلولة دون قيام وتشكل أي قوة إقليمية عربية موحدة، خاصة دول الخليج العربي التي تمتلك كافة المقومات السياسية والاقتصادية والجيوسياسية التي تجعلها مجتمعة لاعبا رئيسا ومحوريا في موازين القوى الإقليمية والدولية، الأمر الذي يتعارض ومشاريع إيران وسياساتها تجاه المنطقة.

١- الموقف من تأسيس مجلس التعاون

عارضت إيران ما بعد الثورة أي جهود يمكن أن تقرب بين جيرانها العرب ونظرت إلى أي محاولات تكتل في المنطقة من منظور المؤامرة ضد الجمهورية الإسلامية».

فغداة الإعلان عن تأسيس مجلس التعاون زعمت صحيفة «اطلاعات» الإيرانية أن «إسرائيل تدعم هذا التكتل».

كما قالت إيران إن تأسيس المجلس فكرة أمريكية وإن هذه الدول ستكون ذراعا أمريكيا في المنطقة لحصار الثورة الإسلامية.

وكتبت صحيفة إيرانية أنه ومنذ سقوط نظام الشاه ومجيء النظام الإسلامي في إيران، تسعى الولايات المتحدة بكافة الوسائل إلى الكيد لهذا النظام الوليد وإسقاطه، وترى الصحيفة أن هجوم نظام صدام حسين على جنوب إيران كان خطة أمريكية للنيل من إيران.

وقالت إن قيام واشنطن ببيع طائرات «الأواكس» للسعودية يمكن فهمه في هذا الإطار.

يذكر أن إيران، وبزعامة الخميني شخصيا، اعترضت بشدة على حصول السعودية على هذا النوع من الطائرات العسكرية.

من جانب آخر، قال علي أكبر ولايتي، وزير الخارجية الإيراني آنذاك والمستشار السياسي الحالي للمرشد علي خامنئي، إن الهدف من تأسيس مجلس التعاون هو تنفيذ مخططات قوى الاستكبار.

وترى إيران أنه بدون مشاركتها في هذا التكتل، فإن المجلس لن يكون له أي قيمة في البعد الجيو- سياسي في المنطقة.

٢- الموقف من درع الجزيرة

نظرت إيران إلى قيام دول الخليج بتشكيل قوات درع الجزيرة بعين الريبة وصورته بأنه مؤامرة غربية أخرى ضدها.

كما تحدثت إيران عن أن قرار دول الخليج بتشكيل هذه القوة يهدف إلى حماية مصالح أمريكا في المنطقة، وهددت بأنها ستتعامل مع هذا المجلس الجديد وأعضائه وتشكيلاته العسكرية بكل يقظة وحذر.

وصرح آنذاك هاشمي رفسنجاني قائلا «إذا قامت دول الخليج بفتح الطريق لأمريكا في المنطقة فإننا سوف نتعامل مع هذه الدول بصورة مختلفة تماما».

وعندما دخلت هذه القوات إلى البحرين عام ٢٠١١م، بهدف حماية المواقع الاستراتيجية والحيوية، زعمت إيران أن الهدف هو «إبادة الشيعة في البحرين» وأن دخول القوات «سيحول الأزمة البحرينية إلى أزمة إقليمية».

وقال المتحدث باسم الخارجية الإيرانية آنذاك رامين مهمانبرست «إن أي تدخل من الخارج سيجعل الموقف أكثر تعقيدا وإن دخول قوات تابعة لمجلس التعاون إلى البحرين غير مقبول»، وشن الإعلام الإيراني آنذاك هجوما على الحكومتين السعودية والبحرينية وحاول حث مثيري الشغب في البحرين على ما أسموه بـ«الثأر لدماء الشهداء» على حد زعمهم.

٣- الموقف من جسر الملك فهد

عارضت إيران فكرة تأسيس الجسر الذي يربط بين البحرين والسعودية.

وقالت إن الولايات المتحدة منحت الرياض الضوء الأخضر لضم البحرين إلى أراضيها وإن مشروع الجسر لا يعدو سوى خطوة أولى في هذا الصدد.

وزعمت أن أحداث الشغب التي شهدتها البحرين (آنذاك) واتهمت المنامة حينها طهران بالوقوف خلفها، «كانت مسرحية لتمرير هذا المشروع».

كما زعمت أنه ببناء هذا الجسر فإن قوات التدخل السريع الأمريكية المتواجدة في المنطقة ستتمكن بسهولة من الوصول إلى البحرين في حال تعرضت إلى محاولات للإطاحة بالنظام.

٤- الموقف من الاتحاد بين السعودية والبحرين

في عام ٢٠٠٩، وبالتزامن مع تجدد أعمال العنف داخل البحرين، قال برلماني إيراني «لو تم استفتاء الشعب البحريني الآن فسوف يختار أن يكون جزءا من إيران»، متناسيا أن الشعب البحريني أعرب عن رفضه للانضمام إلى إيران في استفتاء شعبي في سبعينيات القرن الماضي حين كان الشعب الإيراني ينعم برغد العيش، فما بالك بذلك في وقت تعيش فيه إيران أسوأ مراحلها عبر التاريخ ويعيش المواطن الإيراني تحت وطأة الفقر والديكتاتورية والعزلة السياسية.

وفي ٢٠١٢، تحدثت وسائل إعلام عن أن دول الخليج ستبحث قريبا آليات التحول من المجلس إلى الاتحاد فيما بينها، وكثر الحديث عن أن الخطوة الأولى في هذا الاتجاه قد تكون من خلال الإعلان عن اتحاد بين السعودية والبحرين.

اعترضت إيران على فكرة الاتحاد هذه حيث قال رئيس البرلمان الإيراني علي لاريجاني في ١٤ مايو ٢٠١٢ إن «البحرين ليست لقمة سائغة يمكن ابتلاعها بكل سهولة» واعتبر أن الاتحاد «سلوك بدوي ستكون له بالتأكيد تداعيات سيئة».

وطالب نواب إيرانيون الحكومة الإيرانية بـ«اتخاذ إجراء جاد حول خطة السعودية لضم البحرين» على حد تعبيرهم، وكرر النائب الإيراني حسين علي شهرياري المزاعم القديمة المتجددة بأن «البحرين كانت المحافظة الرابعة عشرة في إيران حتى عام ١٩٧١» وانفصلت عن إيران بسبب «خيانة الشاه والقرار سيئ الصيت لمجلس الشيوخ الوطني آنذاك»، وأضاف النائب في البرلمان الإيراني «إذا كان من المفترض حدوث أمر ما في البحرين، فإن البحرين من حق الجمهورية الإسلامية في إيران وليس السعودية».

وجاء رد الرياض واضحا وجليا على لسان وزير الخارجية سعود الفيصل الذي قال «ليس لإيران لا من قريب أو بعيد دخل فيما يدور بين البلدين من إجراءات، حتى لو وصلت إلى الوحدة».

٥- الموقف من الاتحاد الخليجي

عند الحديث عن مشروع الاتحاد بين دول مجلس التعاون يروج الإعلام الإيراني دائما لمزاعم أن السعودية تسعى إلى السيطرة على دول المنطقة وأن الدعوة للاتحاد تأتي في هذا الإطار.

وتعتقد إيران أن مصير هذا المجلس الذي تصفه بـ«الصوري» ليس سوى الانهيار قبل التحول إلى اتحاد شامل.ولإعاقة المشروع، يشير الإعلام الإيراني في مناسبات عديدة للخلافات الحدودية بين دول المجلس بهدف التأثير على الرأي العام الخليجي

وتوسيع الخلافات.

وتسعى إيران إلى العمل على تفتيت هذه الكتلة من أجل السيطرة بشكل كبير على مضيق هرمز الذي يمر عبره أكثر من ٢٥٪ من تجارة الطاقة في العالم.

كما تعمل إيران أيضا على استغلال أي تباينات خليجية - خليجية لتقديم نفسها كبديل يمكن الوثوق به.

وتعلن إيران وبشكل متكرر أنها لن تقبل بأي وحدة خليجية لا تضم كافة الدول المطلة على الخليج العربي، وإن كانت إيران في عصر الشاه قد اقترحت تشكيل اتحاد يضم كافة هذه الدول إلا أن دول الخليج رفضت المقترح واستمر رفضها له بعد ثورة ١٩٧٩م.

٦- إيران وأزمة سحب السفراء

هللت إيران كثيرا لقيام ثلاث دول خليجية (السعودية، البحرين، الإمارات) بسحب سفرائها من الدوحة ورأت أن هذه الخطوة بمثابة وأد أي تفكير حقيقي في مسألة تحول مجلس التعاون إلى اتحاد.

وقالت وكالة أنباء فارس شبه الرسمية إنه بسحب هذه الدول سفراءها من الدوحة فإن مجلس التعاون يخطو خطوة كبيرة نحو الانهيار وإن مستقبل هذا الكيان يكتنفه الكثير من الغموض.

وزعمت أن السياسة السعودية تجاه الثورات التي تعصف بالمنطقة أوجدت هذا الشرخ في العلاقة بين هذه الدول.

من جانب آخر، حاولت إيران خلال فترة الخلافات الخليجية أن تسوق لفكرة أن التهديد الحقيقي على دول الخليج ليس قادما من الضفة الشرقية للخليج (إيران)، بل من السعودية، وتصف دعوة السعودية للاتحاد بأنها خطوة تنم عن مشروع سعودي توسعي في المنطقة.

«ولأن الولايات المتحدة تعتزم تقليص تواجدها في المنطقة، فإن بروز مثل هذه الخلافات أمر طبيعي جدا»، حسب زعمها وتوقع أحد مراكز الدراسات الإيرانية وهو المركز الدولي لبحوث السلام تفاقم الخلافات بين دول مجلس التعاون وأنه لم يعد هناك أي مؤشرات لعودة العلاقات إلى سابق عهدها وأن المجلس يعيش لحظاته الأخيرة.

إيران تلمح إلى رغبتها في عضوية مجلس التعاون وترى أن هذه الدول غير قادرة على حماية المنطقة دون مساعدة طهران

٧- طهران والمصالحة الخليجية

جاءت المصالحة الخليجية الأخيرة التي أدت إلى عودة سفراء المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة ومملكة البحرين إلى الدوحة، ومن ثم عقد القمة الخليجية الخامسة والثلاثين لقادة دول المجلس في العاصمة القطرية والقرارات التي صدرت عن تلك القمة على المستوى الخليجي والعربي جاءت بمثابة المفاجأة للقيادة السياسية في إيران، فحاولت طهران التشكيك في تلك المصالحة والتقليل من أهميتها.

فتارة تقول طهران إن السعودية تراجعت مرغمة عن موقفها وتارة أخرى تتحدث عن تنازلات قطرية كبيرة لصالح الدول الثلاث، وثالثة تزعم فيها أن التطورات التي تشهدها المنطقة من جماعات إرهابية وما أطلقت عليه «تقدم محور الممانعة» على الأرض خاصة في العراق وسوريا واليمن، أشعر الرياض بحالة من القلق جعلها تضع في أولويتها حل الخلافات البينية بين أعضاء دول مجلس التعاون الخليجي.

هذا التخبط الإيراني يوضح مدى عدم رضا طهران عن المصالحة الخليجية ورغبتها في استمرار الخلافات بين هذه الدول.

في المجمل، حاولت إيران التقليل من أهمية المصالحة الخليجية وزعمت أن هذه الدول تسعى إلى تعزيز التعاون العسكري فيما بينها لتبرز اتحادها بشكل جيد، إلا أن أيا من سبل التعاون هذه لم تصل إلى نتيجة تذكر حتى الآن.

وتستدل طهران على مزاعمها هذه بتقرير صادر عن وكالة آسوشيتدبرس يتحدث عن أن دولا مثل مصر والسعودية والإمارات العربية المتحدة والكويت تتباحث بشأن تشكيل ميثاق تعاون عسكري فيما بينها بهدف إيجاد قوة عسكرية مشتركة لمواجهة الجماعات المتطرفة شبه العسكرية في أنحاء الشرق الأوسط.

ومن هنا ترى إيران هذه الخطوة إشارة واضحة لفشل مساعي تلك الدول واتحادها وقوتها في منطقة الخليج.

تحسين العلاقات ضالة الدول الحكيمة لتجنب الخلافات

تسعى الدول الحكيمة غالبا إلى تحسين علاقاتها مع محيطها الجغرافي لتجنب أي خلافات قد يكون لها انعكاسات سلبية خطيرة على الجانبين.

وعند الحديث عن العلاقات بين إيران وجيرانها نجد أن علاقاتها مع جميع هذه الدول وبلا استثناء مشوبة بالنزاعات والاتهامات المتبادلة، وإن كانت على مستويات متباينة.

في الحالة الإيرانية - الخليجية نجد أن إيران تسعى دائما إلى التدخل في شؤون هذه الدول الداخلية وتحاول الحيلولة دون تشكل أي كيان خليجي موحد أو الاتفاق على أي خطوة من شأنها قيادة هذه الدول إلى مزيد من اللحمة ومتانة العلاقة فيما بينها، كما أن طهران ما فتئت تصور تلك الخطوات بالمؤامرة التي تستهدف إيران، وبالتالي اتخذت سياسة استغلال الخلافات والعمل على توسيعها، هذا من جانب، والسعي إلى التهوين من أي فكرة تقارب أو تكامل بين أعضاء مجلس التعاون والعمل على نسفها.

بعبارة أخرى، ينتهج النظام الحاكم في إيران سياسة «التفتيت» للكيان الخليجي القائم والجنوح دائما إلى التعامل الثنائي بينها وبين كل عضو من أعضاء المجلس والترويج عبر آلتها الإعلامية بأن مصير هذا الكيان للانهيار، وهي سياسة اتخذتها إيران منذ تأسيس المجلس قبل أكثر من ثلاثة عقود.

ومن هنا نرى أن هناك ضرورة كبيرة لتأسيس مفوضية عليا للسياسة الخارجية في مجلس التعاون، ومن ثم العمل على سياسة خارجية موحدة لكافة أعضاء المجلس، وتمثل هذه المفوضية الصوت الخليجي الموحد تجاه القضايا على المستوى الإقليمي والدولي.

ثلاثية "داعش" و"النصرة" و"أحرار الشام"

مجاهد مأمون ديرانية – موقع الدرر الشامية ٢٠١٤/١٢/١٦

هذا الإصرار الغريب على جمع الحركات الثلاث معًا يثير الريبة ويدعو إلى الاستغراب. منذ الأيام الأولى التي بدأنا فيها بالتحذير من «داعش» انطلقَت هذه المعزوفة المملّة: ستبدؤون بـ«داعش»، ثم «النصرة»، وأخيرًا «الأحرار». ثم دارت الأيام وصدرت عن «النصرة» أفعالٌ تستحق النقد فانتقدناها، فعادوا يقولون: لقد انتقدتم «داعش» ذات يوم ثم دعوتم إلى قتالها، وها أنتم تنتقدون «النصرة» اليوم، وعمّا قليل ستَدْعون إلى قتالها كما دعوتم إلى قتال «داعش»، فإذا فرغتم منها ستقاتلون «الأحرار».

أكثر الذين يرددون هذا الكلام هم من أنصار «داعش» الذين ساءهم أننا كشفنا حقيقتها الكالحة ودعونا إلى قتالها وكفّها عن

العدوان، وأقلهم من أنصار «النصرة» الذين يقدّسون المنهج وأصحابَه ولا يحبون الناصحين. ولو كانوا قلّة لتركناهم حتى تجفف شمسُ الصباح أباطيلَهم التي نشروها بلَيْل، ولكنهم يتكاثرون، ينقل بعضُهم عن بعض بلا بحث ولا تفكير، وكثيرٌ منهم من غير أهل سوريا، يجهلون ما يجري على أرضها ثم يسارعون إلى إصدار الأحكام القاطعة وكأنهم بها أعرف العارفين. فإذا سألتَهم: ما حَمَلكم على ترديد هذه الخرافات؟ قالوا: علمنا أن «داعش» و«النصرة» و«الأحرار» أصحابُ منهج واحد، فحكمنا بأنّ ما دفعكم إلى استعداء «داعش» سيدفعكم إلى استعداء «النصرة» و«الأحرار» لا محالة.

لقد أخطأتم خطأين كبيرين أيها السادة، فنحن لم نستَعْدِ «داعش»، بل هي التي استَعْدَتْنا، فعَدَتْ علينا وغدرت بثورتنا وطعنتنا في الظهر. ونحن لم ننقم منها أنّ لها منهجًا خاصًّا، إنما نقمنا عليها أمرين: أنها كفّرتنا وقاتلتنا، وأنها غدرت بثورتنا، واحتلت أراضينا المحرَّرة فأقامت عليها مشروعها الخاص، مشروع الخيانة والغدر والضِّرار.

ثم إن افتراضكم قائم على خطأ محض، فإن «داعش» و«النصرة» و«الأحرار» لم تكن شيئًا واحدًا في أي يوم من الأيام. صحيحٌ أنّ «النصرةَ» بنتُ تنظيم «دولة العراق» الذي تحوّل من بعدُ إلى «داعش»، ولكنها بنت عاقّة تمردت على التنظيم من اليوم الأول لإعلان كيانه الجديد في العراق والشام قبل عام وثلثي عام، أما «الأحرار» فلم يكونوا جزءًا من ذلك الكيان قط، وإن كانوا في أول أمرهم قريبين من «النصرة» بالمنهج والأفكار.

لقد كانت «داعش» عدوًّا لنا منذ كانت، وقد بدأنا -في سوريا- بالتحذير من شرّها منذ أن سَفَرت عن وجهها القبيح وقامت بأول عدوان على ثورتنا، في خريف عام ٢٠١٣، ولم نرَ منها في تاريخها الأسود المُثقَل بالخيانة والغدر والكذب والعدوان خيرًا قطُّ، وما صنعت شيئًا لأهل سوريا ولا أطلقت طلقة فما فوقَها إلا في سبيل مشروعها الخاص، المشروع الذي كشفه السوريون وفصّلوا فيه القولَ منذ عام، يوم أعلنوا أن «مشروع داعش هو احتلال سوريا»، وليس تحريرَها من الطغيان.

أما جبهة النصرة وحركة الأحرار فإنهما جماعتان مجاهدتان، وقد كانتا قريبتَين في يوم من الأيام، إلا أنهما لم تعودا كذلك، فقد تحركت جبهة النصرة في اتجاه، وتحركت حركة الأحرار في اتجاه معاكس، فما تزالان تتباعدان منذئذ. اختارت حركة أحرار الشام أن تكون جزءًا (بل وجزءًا مهمًّا وحيويًّا) من المنظومة الثورية المحلية، وأن تعمّق انتماءها لمشروع الجهاد الشامي، فيما اختارت جبهة النصرة المشيَ في الاتجاه الآخر، بعيدًا عن هذا المشروع وتكريسًا للمشروع القاعدي. وهو قرار تكاد تكون مُجْبَرة عليه، ويكاد يكون هو خيارَها الوحيد، فإنها تتنافس مع «داعش» على «خزّان بشري» واحد، هو الجمهور الذي ينتمي إلى فكر القاعدة ومنهجها، فإذا لم تُرضِ جمهورَها ستخسره حتمًا لصالح «داعش» في وقت قريب أو بعيد.

إن جبهة النصرة تبتعد عن الجسم الثوري وتسترضي عناصرَها بنبذه والتمايز عنه، فيما تقترب حركةُ أحرار الشام منه وتزداد معه انسجامًا وبه اندماجًا باستمرار، بل إنها من أكثر مكوّناته قيمةً ومن أهم صِمامات الأمان فيه على المدى الطويل. هذا الفرقُ وحدَه يكفي لهدم النظرية التي تجمع «الأحرار» مع «النصرة» و«داعش» في منظومة واحدة، فكيف إذا أضيفت إليه فروق حاسمة أخرى؟! أهمها ثلاثة:

(١) العمل المشترك: لم تكن «داعش» قط جزءًا من الثورة، بل كانت عدوًّا محاربًا غادرًا على الدوام، وهي لم تكتفِ بعدم المشاركة في المؤسسات الثورية والاندماج بها، بل إنها عملت على حربها وتدميرها واغتيالها كما صنع النظام. أما جبهة النصرة فقد كانت جزءًا من الثورة، وما تزال، ولكنها استقلّت دائمًا بمؤسساتها الخدَمية والقضائية في كل المناطق المحررة، وهي لا تحب العمل المدني والإداري المشترك وترفضه باستمرار (لا يدخل في هذا الإطلاق العملُ العسكري المشترك في غرف عمليات مؤقتة أو جبهات محدودة).

بالمقابل لم تَدَعْ حركةُ أحرار الشام إلى مشروع مشترك فتخلّفت قط، بل كانت دائمًا من أول المُجيبين، فأيّدت كل اجتماع يقضي على الفُرقة والخلاف، وكانت جزءًا من المؤسسات الخدمية والإدارية والقضائية في المناطق المحررة، بل إنها من أهم مكونات تلك الأجسام الثورية الجامعة.

(٢) الغلو والتكفير: التكفير عند الدواعش كالماء والهواء، لا يعيشون إلّا به، وقد صار علَمًا على «داعش» ودليلًا قاطعًا على خارجيّتها. وهو عند أتباع «النصرة» كالحلوى التي توزَّع بعد الطعام، منهم من يُقبل عليها ومنهم من يُعرض عنها، إلا أنهم بالجملة جُرآء على التكفير، ويجري ذكره على ألسنة عناصرهم وقادتهم بلا حرج، بما فيهم «الجولاني» الذي سمع الناسُ تكفيرَه الصريح للائتلاف السوري وهيئة الأركان في تسجيله الشهير «ليتك رثيتني»، وفي غيره من الكلمات.

أما عند «الأحرار» فإن التكفير كالخمر وسائر المُسْكِرات؛ حرامٌ شربُها، حرامٌ عصرُها، حرامٌ بيعُها وشراؤها؛ فلا يشتغل به عناصر الحركة ولا يَصدر عن قادتها، بل إنهم يقاومونه ويعالجون أسبابه، وهو عندهم -كما عند جمهور الأمة- من اختصاص القضاء الشرعي وليس ألعوبة يعبث بها الجهَلة والمراهقون.

(٣) الفرق الثالث المهم هو في المشروع المنفرد المستقل، فإن أحدًا من أطراف الصراع في سوريا لم يسعَ إلى مثل هذا المشروع سوى «داعش» (التي تريد فرض مشروعها على الأرض السورية كلها فيما يبدو)، والأكراد (أعني حزب الاتحاد الديمقراطي حصرًا، الذي يسعى إلى فصل المناطق الكردية في القامشلي وعفرين في إدارة ذاتية)، وربما أقامت «النصرة» قريبًا إمارتَها في إدلب وريفَي حلب وحماة، وهو أمر ظهرت إرهاصاته، ولكنه لم يُعلَن حتى الآن.

بالمقابل فإن حركة أحرار الشام أبعد ما تكون عن تبني مشروع مستقل، وهي جزء أصيل من المشروع الجهادي الشامي، لم تعلن ذلك بلسان المقال فحسب، بل أثبتته أيضًا بلسان الحال مئات المرات. ولا يعني هذا أن حركة الأحرار ليس لها مشروع، بل لا يُتصوَّر أصلًا أن يخلو أي فصيل في سوريا من مشروع لما بعد التحرير. إنّ من حق كل فصيل أن يكون له مشروعه، وأن يَعرضه ويروّجه ويدافع عنه، ولكنْ ليس من حق أيٍّ كان أن يحتكر المشروعَ الثوري لمستقبل سوريا أو أن يفرض مشروعه على السوريين.

إن الفصائل كلها (ومن بينها حركة أحرار الشام بالتأكيد) متفقة ضمنًا على أن أيَّ مشروع ثوري لا يَستمدّ قوّتَه من السلاح الذي يحمله أصحابُه، وإنما من ثلاثة عناصر مستقلة عن السلاح ومرتبط بعضُها ببعض: قوة المشروع وتكامله، وقدرة أصحابه على عرضه وإقناع الجمهور به، وحماسة عامة الناس له واقتناعهم به وإقبالهم عليه.

الخلاصة: ليس من الإنصاف ولا من مصلحة الثورة إجمالُ هذه الجماعات الثلاث في نسق واحد. إن «داعش» عدو صريح، جماعة غادرة خائنة مجرمة لا محلَّ للصلح معها في أي يوم من الأيام،

وهـي عنـدنا كالنظـام، عـدوٌّ وجـوديّ لا تتسع سـوريا لنـا ولـه أبـدًا، ولابـد مـن فنـاء أحـد الطـرفين في سـبيل بقـاء الآخـر. وإنّـا- إن شـاء الله- ماضـون في حربهـا حتـى نـسترجع مـا سـلبته مـن أراضـينا المحـررة، وحتـى نطهّر منها أرض الشام، ولو بعد حين.

أمـا جبهـة النـصرة فإنهـا فـصيل ثـوري حقيقـي، ولكنهـا أخطـأت أولًـا بارتباطهـا التنظيمـي بالقاعـدة، ثـم أخطـأت آخِـرًا بالـسعي إلى مـشروع مـستقل والتفـرّد بـالقرار الثـوري ورفـض التحـاكم إلى القـضاء المـشترك. ونحـن ماضـون في نـصحها وتقويمهـا، بـاللين مـا نجـح اللـين، وبالـشدة إذا لم تبـقَ إلا الـشدة؛ لأننـا نحـب أن تبقـى جـزءًا مـن ثورتنـا، فمـا أحوجَنـا إلى صـديق حقيقـي صَـدوق يـشاركنا آمالنـا وأهـدافنا ولا يـسعى إلى تطبيـق مـشروعه الخـاص علـى حـساب ثورتنا وتضحياتنا.

أمـا حركـة الأحـرار فإنهـا مكـوّن ثـوري أصـيل وجـزء حيـوي مـن الثـورة، وقـد أخـذنا عليهـا في وقـت مـن الأوقـات أنهـا ضـيّقت الجهـاد الـشامي وحـصرَته في المـنهج التقليـدي للمدرسـة الـسلفية الجهاديـة، ولكنهـا لم تلبـث أن خرجـت مـن ضـيق «المـنهج» إلى سـعة الإسـلام ومـن العزلـة النـسبية إلى الريـادة والانفتـاح. ولعـل في قواعـد الحركـة حاليًّـا مَـن يتعـصب لمـنهج «القاعـدة» ويتطـرف في حمـل فكرهـا، ولكـنهم قلّـة فيمـا أحـسب، وأرجـو أن يعـالجهم الـزمن، أمـا الحركـة نفـسها فقـد صـارت اليـومَ شـريكةً في مؤسـسات الثـورة وصِـمامَ أمـان مهمًّـا لهـا بمـا تملكـه مـن قـوة وحياديـة وتـوازن في الـرؤى والمواقـف الثورية.

عبد الباري عطوان
إذ يُزيّف الوقائع لصالح الأسد

فراس تقي – موقع الدرر الشامية ٢٠١٤/١٢/١٩

لا أدري إن كانـت الأسـباب الـتي تقـف وراء تبنّـي «عبـد البـاري عطـوان» مُهمـة الـدفاع عـن نظـام الأسـد، تعـود إلى اقتنـاع عطـوان «بقومجيـة» الأسـد وشـعارات البعـث المهترئـة، أم أن هنـاك دوافـع تتعلـق بـأمور لا نعلمهـا، ومـا يهـم في النهايـة أن هـذا الكاتـب اختـار لنفـسه مكانًـا يجعـل القُـرّاء في العـالم العربـي والإسـلامي يُـشكّكون في كـل الادعـاءات الـسابقة بوقوفه ضد الأنظمة العربية.

ولعـل المتـابع لموقـف هـذا الرجـل منـذ بدايـة الثـورة الـسورية يلاحـظ جليًّـا أنـه كـان حـاول مـن البدايـة اتّبـاع سياسـة «ذر الرمـاد في العيـون»، عـن طريـق نقـد خفيـف لنظـام دمـشق القمعـي، في حـين يلجـأ وبأسـلوب «ديمـاغوجي» إلى توجيـه البوصـلة نحـو إثـارة المخـاوف مـن سـقوط الأسـد، وحُلـول الفوضـى والإرهاب مكانه.

وبعيـدًا عـن الغـوص في الغايـات الكامنـة وراء تلـك المواقـف، نقـول إن المتـابع لمـا يكتبـه «عطـوان» ومـا يتحـدث بـه في المقـابلات المتلفـزة يلاحـظ أنـه يمـارس التعميـة علـى النـاس، ولعلـه يـستند في تمريـر كلامـه علـى رصـيد يعتقـد أنـه جمعـه مـن خـلال انتقـاده للأنظمـة العربيـة في عـصر كانـت الموضـة الدارجة لديها «تنفيس الشعوب».

فنحن ما يهمنا الآن نقاش معطيات تحدث بها قد تمر على غير المتابعين بتمعن للشأن السوري وللأحداث الإقليمية المرافقة، حيث بدأ «عطوان» سلسلته قبل أسابيع، عندما تحدّث عن اتجاه قائد جيش الإسلام «زهران علوش» إلى الاستسلام لنظام الأسد، وبدفع من الحكومة التركية، على حد قوله. وهذا ما يدحضه الواقع قبل نفي «علوش» الذي أتى بطريقة السخرية، ليكمل سلسلته في مقاله الأخير، الذي تحدّث فيه أن نظام دمشق أطلق رصاصة الرحمة على مبادرة دي ميستورا، حيث يُحاول إظهارَ الأسد أنه رافضٌ لتلك المبادرة، في حين أن الواقع على الأرض، خاصة في حلب يؤكد أنه مستميت من أجل إطباق الحصار على المدينة ليدخل بعدها المفاوضات بقوة.

وركّز «عطوان» في مقالته على أن الأسد الآن أكثر ارتياحًا بسبب ما أسماه الفوضى والانشغال لدى الدول الإقليمية الداعمة للثورة السورية، حيث إن أردوغان يدخل في مشادّات مع منتقديه ومعارضيه، والمملكة العربية السعودية تعاني من تمدُّد خطر تنظيم الدولة والقاعدة التي تقوم بتصفية ضباط أمن، على ما يبدو لم يسمع عنهم سوى كاتب المقال.

ولا يغيب عن الأذهان أن الواقع الحالي للدول العالمية والإقليمية الداعمة للأسد غير مطمئنة بالمرة، وذلك بغض النظر عن الصلابة التي تبيدها روسيا وإيران، والتصريحات العنترية، حيث تعتمد القدرة المالية لهاتين الدولتين بشكل كبير على صادرات النفط الخام، الذي هبط إلى أدنى مستوياته.

ومما لا شك فيه أن تلك الدول تُحاول استيعاب الصدمة الاقتصادية النفطية، وانخفاض العملة المحلية إلى أدنى مستوياتها، إلا أنه لا يوجد أمامها الكثير من المناورة في ظل اقتصاد مختنق ومُثقل بالمشاكل.

ففي إيران على سبيل المثال هناك بلغ التضخم نهاية عام ٢٠١٣ نسبة ٣٩٪، في حين سجلت البطالة نسبة ١٧٪، ووصل معدل الفقر إلى ٢٠٪ من السكان، وهذه نسب كبيرة تجعل أي اقتصاد بأي دولة في مهب الريح، ولا يقوى على الصمود في الهزّات الضخمة.

وهذا يعني أن دور إيران وروسيا في المناطق العربية أصبح مهددًا بجدية، لأنه في حال استمرار الانخفاض ستكونان أمام نتيجة حتمية، وهي تقليص المصروفات العسكرية في المنطقة، (وهذا ما بدأت تظهر آثاره على «حزب الله»، حيث انخفضت نسبةُ دعم إيران له إلى ٢٥٪ بناء على مصادر مُقرّبة من الحزب).

في المقابل، الدولُ الأخرى كالمملكة العربية السعودية تتمتع بمناورة أكبر، وتأثير فعّال على أسعار النفط، وستسعى لإبقاء الحال على ما هي عليه من انخفاض من أجل زيادة الضغط، أي أنها في موقف اقتصادي أفضل، أما تركيا فهي الآن في وضع جغرافي واقتصادي وسياسي وعسكري يجعلُها الأكثرَ تأثيرًا على الملف السوري.

وفي النتيجة لا يغيب عن الأذهان قيام نظام الأسد كل مرة بدفع وجوه إعلامية وسياسية تقوم بالترويج لأحداث ومعطيات غير واقعية، هدفها بثُّ الصبر والأمل لدى حاضنته، وكذلك لدى الجهات السياسية المتحالفة معه، إلا أن المؤشر الهابطَ الذي يكشف عنه الواقع كل مرة كفيل بإفشال تلك المساعي.

هل انضمت حركة الجهاد الإسلامي لجوقة الفصائل الفلسطينية المستأجرة؟

أسامة شحادة – موقع الحقيقة ٢٠١٤/١٢/١٢

عرفت مسيرة المقاومة الفلسطينية عبر تاريخها استئجار العديد من الفصائل الفلسطينية أو أجنحة فيها من قبل الأنظمة العربية كقوات الصاعقة التابعة لسوريا والجبهة العربية التابعة للعراق، ولعل تنظيم «أبو نضال» كان أبرز مثال على ذلك، بل تميز بكونه قابلا للتأجير لمهمة أو مرحلة محددة وقصيرة، حتى لقب التنظيم وزعيمه بأنهما «بندقية للإيجار».

ولكن مع تضخم المسار التفاوضي وسيطرته على غالب الفصائل الفلسطينية بشكل مباشر أو غير مباشر من جهة، وغياب العديد من فرسان تلك العلاقة الفلسطينية والعربية بالموت من جهة أخرى، جعل تلك العلاقة المستأجرة تتوارى قليلا عن المشهد السياسي الفلسطيني.

لكن الثورة السورية ضد النظام الطائفي البعثي المجرم لبشار وأبيه كشفت عن استمرار هذه الظاهرة السيئة، فقد كشف عدوان هذا النظام على مخيم اليرموك للاجئين الفلسطينيين في دمشق، عن استمرار تنظيم أحمد جبريل في العمالة للنظام السوري، وأنه يقدم العمالة والخيانة للنظام السوري على حماية شعبه، وذلك من خلال مهاجمة الثوار الفلسطينيين والسوريين في المخيم بل وحصاره وقطع الماء والطعام والعلاج عن سكانه من الأبرياء.

لكن أخطر ما كشفت عنه الثورة السورية هو استئجار المحور الإيراني (إيران، حزب الله، العراق، سوريا، الحوثيين) اليوم لحركة الجهاد الإسلامي بالكامل، وأن الحركة اليوم لم تعد بوصلتها فلسطين والأقصى، بل توجيهات طهران وخامنئي.

فمعلوم أن علاقة حركة الجهاد بإيران علاقة قديمة جداً وتعود لنهاية عقد السبعينيات من القرن الماضي[1]، ويكفيني هنا تصريح الأمين العام للحركة حالياً د. رمضان شلح لموقع الإسلام اليوم[2]، حيث يقول: «لا بد أن نتحدث بصراحة، ونضع النقاط على الحروف لنبين مصدر هذه التهمة لنا تاريخياً في الساحة الفلسطينية.

يؤسفني أن أقول، مضطراً، إن أول من اتهمنا في علاقتنا بإيران والشيعة هم الأخوة في حركة الإخوان المسلمين بقطاع غزة، وأقول الإخوان لأن الاتهام كان مبكراً قبل إنشاء حماس، وكانوا يعملون يومها تحت اسم «المجمع الإسلامي»، لكنهم عندما رأوا في هذه المجموعة من الشباب التي شكلت حركة الجهاد لاحقاً خروجاً عن النهج الذي يسيرون عليه، أعلنوا حرباً.. لا أريد أن أنكأ الجرح باجترار تفاصيلها، لا سيما أننا تجاوزناها منذ زمن والحمد لله، لكن الصداع المتعلق باتهامنا بعلاقتنا بإيران والشيعة يجب أن ينتهي، وأن نقدم حجتنا فيه للناس وقبل ذلك بين يدي الله عز وجل.

نعم نحن أيدنا الثورة الإسلامية في إيران، شأننا في ذلك شأن ملايين المسلمين، وكل ما قلناه يومها إن هذه الثورة التي أسقطت نظاماً من أقوى حلفاء الكيان الصهيوني في المنطقة والعالم، يمكن أن تشكل سنداً لنا في جهادنا من أجل تحرير وطننا المغتصب.. ما قلناه قبل حوالي ربع قرن هو ما يطبقه الإخوة في حماس اليوم في علاقتهم بإيران والشيعة».

---

(١) راجع دراسة لي حول ذلك بعنوان «حركة الجهاد الإسلامي والهوى الشيعي الإيراني»، في كتابي «المشكلة الشيعية»، وموقع الراصد نت.

(٢) بتاريخ ٢٠٠٧/٧/٢٠.

إذن شلح يعترف أن ما يقوم به الإخوان / حماس الآن من علاقات واتصال بإيران سبقتهم به حركة الجهاد من ٢٥ عاما!

لكن هل بقيت القضية علاقة واتصالات مع إيران أم تطورت لتصبح عمالة واستئجارا كما سبق وأن فعلت ذلك العديد من الفصائل الفلسطينية؟ هذا هو السؤال المهم اليوم، والذي سنبحث عن إجابته من خلال النقاط التالية:

❖ حرص د. فتحي الشقاقي، مؤسس الحركة، على استقلالية قرار الحركة في البدايات وكان يدرك حاجة إيران للعب دور في القضية الفلسطينية، ونجده يصرح أن الحركة لم تتلقَ دعما من إيران حتى عام ١٩٨٨م، سوى بعض المساعدات الإنسانية، وأن هذه المساعدات كانت دون المأمول حتى! فهل لا يزال قرار حركة الجهاد مستقلا، وهل لا تزال الحركة مستغنية عن التمويل الإيراني؟؟

❖ وتكشف شهادة د. محمد مورو والذي يعد من المصريين القلائل الذين شهدوا نشأة حركة الجهاد الإسلامي الفلسطينية في مصر، عن وعي الشقاقي بعدم التورط في الصراعات العربية، بل نصح د. مورو الشقاقي بعدم التقاطع والاتصال بالحركة الإسلامية في مصر، وأن تبقى حركة الجهاد في قضيتها المركزية وهي فلسطين، وهو المأخذ الرئيسي لهم على جماعة الإخوان بسبب تخلف القضية الفلسطينية عن أجندتهم[1].

فهل لا تزال حركة الجهاد الإسلامي تحصر نشاطها وعملها في القضية المركزية للأمة وهي فلسطين، أم تورطت في تنفيذ أجندات وصراعات محلية هنا وهناك، بعيدا عن قضية فلسطين وتحرير الأقصى؟؟

❖ منذ انطلاق الثورة السورية عام ٢٠١١ تباينت مواقف حركتي حماس والجهاد منها، ففي البداية وقفتا على الحياد، ثم انحازت حماس للثورة بعدم تأييد النظام الأسدي علناً، ثم الانسحاب من دمشق، ومقاطعة مؤتمرات طهران، بينما بقيت الجهاد في دمشق وطهران، وصرحت بتأييد النظام السوري المجرم، وسكتت عن جرائمه بحق شعبه السوري وبحق شعبها الفلسطيني في سوريا، وبقيت تواصل تلميع النظام الإيراني الوالغ في دماء السوريين والفلسطينيين، بالخطابات الرنانة من على منابر مؤتمرات طهران الدعائية.

فهل تأييد النظام المجرم ضد شعبه يتسق مع موقف الشقاقي بالتركيز على قضية فلسطين والبعد عن نصرة الحركة الإسلامية في أي صراع لها مع السلطات؟؟

❖ وعقب العدوان الإسرائيلي على غزة عام ٢٠١٢، ظهرت للسطح خلافات عميقة بين حماس والجهاد في غزة، بسبب ارتهان القرار العسكري لحركة الجهاد لأوامر طهران، بما يتصادم مع رؤية كتائب القسام لإدارة المعركة.

وتجلى هذا الخلاف في الاستجابة لطلب حسن نصر الله من حماس والجهاد بشكر إيران علنا على دعمها لغزة، فبادرت حركة الجهاد لتعليق يافطات الشكر الضخمة لإيران في شوارع غزة، بينما تجاهلت حماس الطلب، لكنها لم تعترض على تعليق الجهاد ليافطات الشكر!

فهل أصبح دعم فلسطين نوعا من التكرم والتفضل يحتاج إلى شكر، وهل هذا يتفق مع إدراك الشقاقي لحاجة إيران لقضية فلسطين، وليس العكس؟

---

(١) في كتابه «الإسلام السياسي،شخصيات»، مكتبة جزيرة الورد، ص١٤٩.

❖ هذا التباين في تطور العلاقة بين حماس والجهاد مع إيران، نتج عنه مقاطعة إيران لحماس وزعيمها خالد مشعل، بل والهجوم والطعن والشتم لحماس ومشعل، بل هناك من يقول إن طهران لا تزال ترفض زيارة مشعل لها، ومما يعزز هذا الأمر أن وفد حماس الذي يزور طهران اليوم (٢٠١٤/١٢/٨) هو بقيادة محمد نصر!

بينما تتواصل زيارات شلح وقادة الجهاد لطهران بكل حفاوة وتكريم، وتتدفق عليهم الأموال والمساعدات، حتى صرحت قيادات الحركة أنه لولا الدعم الإيراني لم تنتصر غزة في حرب ٢٠١٤، وعلقوا مرة أخرى يافطات الشكر لطهران في شوارع غزة، لكنها هذه المرة تعرضت للتخريب!! بينما حماس وكتائب الأقصى صرحت أنها خاضت الحرب بعيداً عن الدعم الإيراني بل انتقد د. موسى أبو مرزوق الدعم الهاتفي لغزة بعد ٢٠ يوما من حزب الله!!

❖ وتأتي مشاركة شلح مؤخراً في مؤتمر طهران لدعم الإرهاب، لترجح وتؤكد الشكوك حول تأجير الحركة نفسها للأجندة الإيرانية، فطهران راعية الإرهاب في المنطقة منذ قيام الجمهورية الخمينية عام ١٩٧٩، والتي تمارس الإرهاب اليوم في إيران ضد الكثير من مواطنيها على اختلاف عرقياتهم وتياراتهم السياسية ومذاهبهم، وفي العراق ضد السنة، وفي البحرين ضد النظام والسنة، وفي لبنان ضد مختلف الطوائف، وفي سوريا ضد الشعب الثائر، وفي اليمن بدعم الحوثيين.

فيقوم شلح بالتغاضي عن كل هذا الإرهاب، بل وبالتغاضي عن كل الإرهاب الإيراني ضد الفلسطينيين في لبنان والعراق وسوريا، ويتبنى أجندة إيران في حرب داعش، داعش التي رعتها إيران ووكلاؤها وهم المستفيدون الأوائل منها.

فهل هذا يخدم مركزية القضية الفلسطينية، يا شلح؟

❖ وأخيراً تأتي زيارة ممثل الجهاد الإسلامي في صنعاء لمدينة صعدة، مقر الحوثيين، فيزور قبر زعيمهم حسين الحوثي، ويقدم درع الحركة لشقيقه القائد، وهؤلاء الحوثيون لم يعرف لهم دور إيجابي واحد على مستوى محافظة صعدة، فضلاً عن اليمن، فكيف بفلسطين!

وهذه الزيارة لا مهمة لها إلا تبييض صورة الحوثيين الإرهابية الذين احتلوا العاصمة وعددا من المحافظات ونشروا الخوف والذعر، وسلبوا مقرات الدولة وأسلحة الجيش، فيصدر الأمر لهم بتلميع صورة الحوثيين عند البسطاء من خلال توظيف اسم فلسطين.

وفي تبرير حركة الجهاد لهذه الزيارة قالوا إنها جاءت ضمن زيارة كافة الأحزاب اليمنية، وهو كذب مفضوح.

إن هذه النقاط بمجموعها لتدل وتؤكد على أن حركة الجهاد الإسلامي تجاوزت مرحلة العلاقات والاتصال بإيران، لمرحلة أخس وأدنى، وهي مرحلة تأجير نفسها لصالح الأجندة الإيرانية الطائفية الإرهابية.

ويبقى في الختام تنبيه حركة حماس خصوصاً وجماعة الإخوان عموماً، على بؤس هذا الخيار الإيراني في العلاقات والتعاون، وأن نهايته العمالة والخيانة لقضية فلسطين وتحرير الأقصى، وهذا التحذير بمناسبة محاولة حماس أو تيار فيها إعادة العلاقة أو الارتباط بإيران، وبمناسبة تفاهم حزب الإصلاح اليمني مع الحوثيين، وبمناسبة استمرار انخراط الحزب الإسلامي العراقي في فلك الحكومة الطائفية، فحذارِ حذارِ من مصير حركة الجهاد الإسلامي.

احذروا علي الأمين...
فهو الخطر الوحيد على شيعة لبنان

محمد جواد- موقع جنوبية ٢٠١٤/١٢/٢٠

حسناً. صدرت التعليمة. «اهجموا على علي الأمين». خضر عواركة وصفه بأنّه «علي القميص». وفي هذا قمّة الخيال والذكاء والتشبيه الما بعد بعد تعبيري. أحمد مطر في موقع «بنت جبيل»، نقلا عن موقع «الخبر برس»، وصفه بأنّه «يشكّل خطراً كبيراً.. في اعتدائه على النساء». وفيصل الأشمر، ابن سلاب نيوز، وصفه بأنّه «إيلي كوهين».

لا يوجد خطر على الضاحية الجنوبية إلا مقالاً نشره زميل يقول فيه إنّ الحجاب في الضاحية بات أقلّ من حجاب وأكثر من زنطرة. مقال قال إنّ البيئة تضغط على الفتاة فتحجّبها بالقوّة، فتهرب الفتاة إلى أزياء تصاحب الحجاب، متفلّتة أكثر حتّى من أزياء معظم غير المحجّبات. مقال أكّد أنّ الضاحية محاطة بسلسلة من الفنادق، في الحازمية وبعبدا وخلدة، مسخّرة للعشّاق العاجزين عن الزواج، بسبب الفقر، أو للهاربين من زيجات تقليدية، أو للخونة. وأنّ الدعارة تتزايد في الضاحية بسبب منع الأجهزة الأمنية من العمل فيها، ما أوجد بيئة آمنة لشبكات الدعارة والمخدّرات والقتل والسرقة والخطف.

وعلى سيرة الخونة. اطمئنوا. لا يوجد مشكلة خيانة في هذه البيئة. لم يخُن أحدٌ الإمام الحسين حين ناصر ظالماً وقاتل أطفال في سورية هو بشّار الأسد. لم يخُن أحدٌ حزب الله، خصوصاً أعلى وأكبر قياداته الأمنية والعسكرية التي تبيّن أنّها تتعامل مع إسرائيل ومع الموساد ومع الـCIA وغيرها من أجهزة المخابرات الأميركية والصهيونية.

لا تخافوا. فقط علي الأمين هو الخطر، لأنّه يحرص على رعاية تجربة إعلامية اسمها «جنوبية» تحاول الإضاءة على مكامن الخلل في البيئة الشيعية والجنوبية وفي بيئة المقاومة. تلك البيئة الغاضبة، والساكتة عن رأيها، في رفضها الانغماس بالوحول السورية. موقعٌ حمل آلامكم وأوجاعكم في العامين الماضيين، وتقرأونه وتشتمونه، وإن كانت قلوبكم معنا وسيوفكم علينا.

لا تخافوا. لا توجد عائلات تحكم بالحديد والنار في الضاحية. لا توجد شبكات دعارة. لا توجد شبكات عمالة لإسرائيل. لا توجد شبكات وتجار وتروّج المخدّرات. لا توجد مافيات تتحكّم باشتراكات المولّدات الكهربائية وبأسعار المياه وبأسعار اشتراكات «الستلايت». لا يوجد سارقون ولا مجرمون يختبئون من عيون الدولة ويعيثون فساداً في المجتمع.

اطمئنوا. لا يوجد انحلال أخلاقي. لم يصل الانحلال الأخلاقي إلى درجة أنّ من وضع أهل الضاحية والجنوب والبقاع رقابهم في أيديهم، قطعوها بالتعامل مع إسرائيل، في حزب الله تحديداً، وعلى أطرافه.

اطمئنوا، وحده «علي القميص» هو المشكلة. لم يخنكم أحدٌ حين علّمكم كراهية «الشيطان الأكبر» ثم صافحه وقبّله وحالفه. لا تخافوا. لم يخنكم أحدٌ حين جعل ٩٠ في المئة من العرب والمسلمين أعداءكم. لا تخافوا.

لا تخـافوا. لـستم ممنـوعين مـن الـسفر إلى دول الخلـيج، الـتي فتحـت بيـوتكم لعقـود، ولـستم محاصـرين في أفريقيـا، ولـستم مطـاردين في أوروبـا، ولـستم مـشكك بكـم في أميركـا فقـط لأنّكـم شـيعة مـن لبنـان. اطمئنـوا. فيمكـنم فقـط أن تعملـوا مقـاتلين في سـورية. هنـاك تموتـون ويكفـل لكـم مرسـلوكم إلى الهـلاك أن تتنـاولوا طعـام العـشاء مـع الإمام الحسين.

وحـده علـى الأمـين خطـر علـيكم. لا تخـافوا. لـيس هنـاك مـن يخـونكم بـأن يقـنعكم بالخرافـات الـتي لا يرضـى عنهـا كبـار المراجـع، كـي تفتكـوا بأطفـال سـورية بـلا رحمـة، وكـي تـذهبوا إلى المـوت المجّـاني في سـورية والعـراق، وكـي تظلمـوا أخـوتكم اللبنـانيين لأنّهـم فقـط «مختلفـون» عـنكم ولهـم آراء سياسية مختلفة.

لا تخـافوا. فقـط اهجمـوا علـى علـي الأمـين. فهـو العميـل الإسـرائيلي وليـست قيـادات في حـزب الله كـشف عنهـا الـسيّد حـسن نـصر الله شخـصياً، وأخيرهـم ولـيس آخـرهم، محمـد مـشوربا، أحـد مسؤولي العمليات الخارجية في الحزب.

علـي الأمـين هـو الـسارق ولـيس شـقيق أحـد نـوّاب «البيئـة المقاومـة» الـذي يقـود مافيـا سـيّارات، وشـقيق نائـب آخـر يقـود مافيـا الكبتـاغون. هـو، علـي الأمـين، مـروّج المخـدّرات وليـسوا أولئـك الـذين يخـدّرون أبنـاءكم بالخرافـات كـي يـذهبوا إلى المـوت من دون سبب.

علـي الأمـين هـو المافيـا الفكريّـة ولـيس سـارقو أمـوالكم نهايـة كـلّ شـهر، في اشـتراكات الكهربـاء والـستلايت. ولـيس صـلاح عـزّ الـدين الـذي سـرق مـنكم مليـاري دولار، وعـاش سـلطاناً في الـسجن، وخـرج ليعـيش سـلطاناً خارجـه تحـت حمايـة «حزب الله».

فقـط علـي الأمـين هـو الخطـر علـى فتيـاتكم، ولـيس الـذي ينـزع الغـلاف الأخلاقـي عـن أفعـالكم، كـي تـصير بعـدها الخطيئـة عاديـة. طالمـا أنّنـا نرتكبهـا كجماعـات، فلمـاذا لا نرتكبهـا، رجـالاً ونساءً وفتيات وشباناً وشابات، كأفراد؟

علـي الأمـين هـو الخطـر الوحيـد علـى الـشيعة في الـضاحية والجنـوب والبقـاع، وعلـى المقاومـة في لبنـان، وعلـى الـشيعة في العـالم. هـو الخطـر وموقـع «جنوبيـة» هـو الـسمّ. فقـط. وكـلّ مـا يـؤلمكم لـيس موجـوداً. الأمـور كلّهـا علـى مـا يـرام. فـاطمئنّوا. وحـده علي الأمين.